



فتاة سيئة

شهد الغلاوين



رواية

فتاة سيئة

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م



شهد الغلاوين

ح دار الفكر العربي، ١٤٣٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الغلاوين، شهد
فتاة سيئة. / شهد الغلاوين -الدمام، ١٤٣٣هـ
.. ص : .. سم
ردمك: ٠-٥-٩٠٣٢٢-٦٠٣-٩٧٨

١- القصص العربية - السعودية أ. العنوان
ديوي ٨١٢.٠٣٩٥٣١ ١٤٣٣/٣٠٦٩

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٣٠٦٩
ردمك: ٠-٥-٩٠٣٢٢-٦٠٣-٩٧٨

دار الفكر العربي للنشر والتوزيع
الإدارة العامة - الدمام
تليفون: ٠٣٨٣٣٨٤٤٩
فاكس: ٠٣٨٣٣٥٤٤٠
مسؤول النشر: تليفون ٠٥٩٢٦٤٩١٢٢

دار الفكر العربي للنشر والتوزيع

Alfeker - Alaraby Publishing house
General Admination - Dammam
Tel: 038338449
Fax: 038335440
Publisher: 0592649122

www.daralfkr.com.sa
dar.al.feker@gmail.com
dar.al.feker@hotmail.com

مدونة دار الفكر للعربي
واحة القلم الحر
http://www.feker.com.sa

الإشراف والإخراج الفني دار الفكر العربي

الإهداء

إلى :

ستة من الرجال وقفوا معي وسندوا طولي

وكانوا ظلي الطويل الذي لا ينحني

إخوتي

وإلى :

رجل ألبسني ثوب أمي، فشعرت كم أنا جميلة

حين أبدو كالأمهات.

إلى :

وجه (أبي) الذي ادس فيه تفاصيلي الصغيرة

عن عين (أمي) .



تحية للرفقاء الطيبين الذين جمعتني بهم مواقعي المفضلة من (جسد الثقافة، فيس بوك، توتير، أسك مي) ولكل من يتناول سيرتي في محاولة منه لمعرفة تفاصيلي، هذه الحكاية لم تكن لتكون حقيقتي كاملة، ولم يكن لها أن تكون من محض الخيال، فحين أضعني في مواجهة الخيال والحقيقة أختار مكاناً وسطاً لا يميل بي إلى أي الجهتين، إنما يحدد مكاني في نقطة تجمعهما معاً. اخترت أن تكون سيرة ويوميات أكتبها كما حدثت معي، لكن ربما هناك قوى عظمى صيرتها إلى هذا الشكل في النهاية. فهذه التفاصيل تشبهني، غير أنه لا يمكن لأي شخص أن يتعرف على الفروق العشرة بينها وبين حياتي، سوى أحمد، وبدر، وسعد مطران ، وأمي، أولئك الذين دخلوا تفاصيلي وعرفوا متى تكون الفتاة السيئة سيئة بالقدر الذي يشوهها في أعين الناس والمجتمع.

التوقيع : رغد



.... إني أستعر كحقل أُلقي في سنابل قمحه عود ثقاب!

ولا أدرك كيف أكتبني وسط مدينة الحرائق التي نشبت بي من أجلك، لكن الحقيقة التي تغيب دوماً عنك هي صلاتي من أجلك، فأنا أومن بقدسية الصلاة من أجل حب يربطني بك عمراً بأكمله، ولا أريد أكثر من سقف يرتفع بي ولا تتطاول من أسواره أعناق أعراف تدوولت من فرط الجهل!

لست كأمي، قلتها وعين أمي ترمقني، لكن حبك أورثني ملامح أمي التي لم تكن ملامحي قبل هذا الحب، بيت وطفل وحياة نتشارك تفاصيلها. تلك حكاية الأمهات التي أمقتها، لكنني كلما استعرت عاطفتي بحبك وددت لو أنجب منك كل الأمهات من بعدي!

كل الحكاية أن رجلاً اعترض طريقي في الوقت الذي كنت أمضي فيه نحو رجل عشقني حد البكاء، فتورطت في مسمى العلاقة وشكلها. كانت تمتزج روحي بحرفه وهو لا يعلم ماذا صنع بي في تلك اللحظة، أريدك حقيقة يا رغد بعيداً عن كل الوعود التي أقسمنا بها وكأن القدر جمعني بك مرتين ليقول: هذه نصيبك من نساء الدنيا، وحتى أرحل للدار الآخرة سأختارك أنت مرة أخرى لتكوني نصيبي في الجنة.

تحررت من قيد مجتمع يلبسني عباءة التقاليد في كل مناسبة، وتوجهت شطر قلبك لا تقف بيننا سوى عيني أبي، التي

أرتفع ببصري للسماء عله يبتسم ليمنحني وجه الرضا الذي يدنيني جهة صدرك بلا خوف!

كلما اقتربت منك ألبستني ثوب أمي، حتى قبل أن تلمسني شفتاك وأزهو بك كما لو كنت أُمّاً بلا مولود!

هذا العيد سيكون بيتي الصغير الذي أطل من نافذته وأدعو الحياة لمشاركتي طقوسه، ولأنك صدقت معي ستنجح بي الحياة هذه المرة وسترقص الطبيعة فرحاً وستغرد عصافيرها، فهزني كجذع شجرة لتتساقط أجنتي في حضنك وتلبس ملامحك وتسير بك ومعك، حتى تتطاول مع أحلامي الصغيرة وتكبر بها!

كيف تطالبني أن أستغل فترة غيابك بارتكاب الكتابة كلما اشتقت لك، وأنا لا أعرف لغة لحرفي بغيابك، كيف أعزلك عن ذاكرتي، أتخلص من أشيائك التي تسكنني، أودعك بطرقات الغياب، وأحضرك بحرف أخرس، كيف أفعل ذلك ؟ وأنت تتوغل بعمق بحيث لا فكاك ، وتسكن وجه الدفاتر، بكل محاولة لرسم إحساسي تتضح تفاصيلك الدقيقة فأتوقف، كيف أفعل ورائحتك تتسرب إلي مع الأماكن التي عبرتها بروحك هبني طريقة لا تمرني فيها ، وسأرتكبها للكتابة إليك، دون أدنى وجع .!

كيف أعزل أمومتي بك، عن هذا الحب الذي يصل بعضنا ببعض كيف أتخطى مرحلة التفكير بكل قبلة أن إحداهن سترديني حبلى بك



حتى آخر العمر .!

كيف أكون بين فكيك ، يديك ، عينيك وأتنصل منك خاوية بلا أدنى إحساس ، هبني تعويذة لأتعوذ من حبك ومن طلاسم سحرك التي تدبغ روحي بكل قبلة لا أشفى منك حتى أعاود الكرة وألثمك مرة أخرى.

تترمد مشاعري دوماً حين أنتشي ولا أجدك على حافة السرير .! يصدح بأعماقي عويل الضياع ، ولا تسمعني .!

أتلبس أشياءك ، ألامسها ، أغمرها بقبلاتي ، أستحضر روحك وأتأوه بضجر .!

الحياة ليست نافذة ماسنجرية، قلتها ذات يوم وما زالت ترن بأذني وأنا ألتقي من خلال هذه النافذة ألواناً من البشر، تسيّرهم شهواتهم لحديث مطول. كنت أتصور أنني سوف ألتقي تلك النماذج ذات يوم على أرض الواقع، ولم أكن أعلم أن تلك الوجوه لم تكن سوى أقنعة تسعى للوصول إلى أهدافها الشخصية، وكنت وحدي الفتاة الساذجة وسط معمعة هذه العلاقات التي أقحمت نفسي بها. كنت أعتزل العالم برغبتي، ولم يتطفل على حياتي رجل واحد على رغم وجودي في مجتمع ذكوري من أقرباء وجيران وحياة تدمجني بواقع الكثير منهم. لم تكن لي رغبة بكل ما حولي ، حتى شيطاني لم يدفعني تجاه أحد منهم، وكأن هذه الشاشة الصغيرة عزلتني عن كل مبادئي، و جعلتني

أتجاهل كل ما أومن به وأرميه خلف ظهري. وهكذا شمرت عن ساعدي لولوج ذلك العالم بلا ثوابت.

كنت يتيمة التجربة، فاندلعت بكلي دون أن يكون لي مراحل أو حتى ترتيبات في طريقة تعايشي مع هذا العالم المقنع بأبهى الألوان.

- ليس ذنباً أن تكوني عديمة التجربة يا رغد، فكل من ولج هذا العالم لديه رصيد كاف من الخبرات والتجارب. هذا ما قالته لي صديقة ثلاثينية وهي تواجهني بالسبب الأساس الذي صيرني إلى هذا الضياع حين أردفت :

- مشكلتك أنك عاطفية في أغلب قراراتك، وللأسف لم ينضج عقلك بعد!

وحقاً كنت في دوامة من أول علاقة تتشبث بي روحيّاً لتسحق كل ما حدث بواقعي الملموس. كان يسيرني من خلف شاشة صغيرة، فأذعن له بكل جوارحي لأقسم بيني وبين نفسي أن يكون حلالي ونصيبي من هذه الحياة. سرت نحوه متباعدة الخطا، أتنفس بضيق لم أجربه سابقاً. قررت أن أعتزله كليّاً حتى اللحظة التي يطرق فيها بابي.

دخلت في تفاصيل وجه أمي، ولأول مرة منذ تسعة عشر عاماً مضت، لم تصافح عيني وجهها كما فعلت تلك الليلة. حدثتها عن الرجل الذي عشقت. وكأنها تخلت عن دور الأم لترتدي ثوب صديقتي



وتستوعب حكايتي كما لو كانت في سني. لم أكن على خلاف مع أمي، وكذلك لم نتفق، إنما أتصور أن علاقتنا تتميز بطابعها الحيادي، فلم يحدث أن جمعني القدر بأمي في قرارات مصيرية تتطلب تدخلها، بل كانت تسير بنا الحياة ولا تجمعنا في مطب يستدعي توقفنا في ذات اللحظة. كنت أرد الجميل بصورة قبلة أطبعها على جبينها على عجل كل صباح، تبصر فيه عيناي النور دون أدنى إحساس بروحانية العلاقة مع أم. درس حفظته جيداً، تماماً كما صلاتي التي غرست في داخلي منذ الصغر. نُقشت درساً في ذاكرتي حتى تحولت بعد ذلك إلى عادة أكثر من كونها روحانية وعبادة.

أحياناً تنتابني حالة من الضيق والكدر. لا أعرف ما أريد، وأنظر دائماً إلى ما في يد غيري، لدرجة أنني كنت أتساءل: ماذا سيحدث لو كنت ابن أمي؟ هل كانت ستتغير طبيعة العلاقة بيننا؟ أحياناً أريد أن أكون بارة بأمي، كقصص البر التي تتناقلها الهواتف والقنوات الأسرية وكلما مرت بي استشعرت عظم منزلة الأمهات وبكيت، لكن طبيعة الحياة التي أعيشها تعزلني عن أمي. ولأني فتاة أبي منذ ولدت لم يكن هناك شيء خاص يربطني بها. أحياناً أشعر أني أقرب للغرباء أكثر من قربي لأمي. ليس معنى ذلك أنها أم سيئة. لا، لا، لكن طبيعة الحياة وعملها الذي يأخذ كل وقتها يسلبني وجودها في وسط حياتي. ولست ألومها، فهي جيدة بما فيه الكفاية متى وجدت وقتاً لأن تكون كذلك، لكنني رتبت حياتي وأدوارها فلم يكن لأمي دور فيها إلا كتلويحة

عابر طريق في محطة قطار. ولأن أبي كان يضعني بصورة الطفلة، كان كلما حاولت أن أكسر بروازها صفعني بحضنه الذي يهدهد فورة الأفكار حين تتضارب بعقلي. أتحول في لحظة إلى طفلته، ذلك الدور الذي أتقنه ببراعة حين تكون عينا أبي تحاصران المكان الذي أكون فيه. وحدها غرفتي ما يخلق لي سقفاً من الحرية لا تحلم به أي فتاة في مثل سني. كنت أمارس طقوسي بفوضوية، أعيش مع حقيقتي بسلام وأؤدي أدواراً بطولية. تتضارب في رأسي أفكاري ومعتقداتي. أرفض الأسوار وسياسة العيب ومنظومة الأعراف والتقاليد البالية. لا تجد أفكاري دوماً خطّاً أحمر تقف عنده، بل تتجاوز كل الخطوط، وتتطاول بمقاييس مختلفة مع كل أسوار المجتمع ومعتقداته. لذا حين أنعزل بغرفتي فإني أنسلخ من ضلع أبي وكأنني لم أخرج من صلبه ولا من توارث عادات مجتمعه.

تمضي الأيام بي بعجلة صامتة. لم تحدث بي أثراً رغم طرق كثيرين لحياتي، لكنه لم يكن لي رغبة في معرفة تفاصيل أي خاطب. غالباً ما أكتفي بقولي:

- لا أفكر حاليّاً بالزواج.

وحده أبي من يتلبس صوتي وقت الحاجة، ليكون له الرد ذاته في وجه أي خاطب. وعندما تقدم إليَّ ذلك الرجل الثلاثيني كانت أمي وحدها من هيأتني لأمر الزواج، وكنت ألتحم بفكرتها عن الاستقرار



العاطفي والنفسي الذي يجلبه لي الزواج حتى لو لم يكن قائماً على دعامة من الحب، لأن الحب يولد مع الأيام كما يولد الأطفال عادة . حديثها كان يلامس قلبي حين تقول:

- فرص الزواج ستتقلص كلما تقدم بك العمر، ولن تجدي أي خيارات لو أجلت فكرة الزواج بعد التخرج، لأن الفرص المتاحة الآن لن تتكرر أبداً.

لأول مرة أقتنع بشيء يأتي من أمي، فالعادة أنه لم يكن يجمعنا حديث يطول لأكثر من خمس دقائق، لكنها كانت تقتطع لي في تلك الفترة من وقتها نصف ساعة يوميّاً للحديث في شأن الخاطب. رسمت في مخيلتي خطوات الزواج كما كنت أحلم بيني وبين نفسي، ولم يكن هناك طرف ثان أقاسمه هذه الأحلام. أُمني نفسي بحفلة بسيطة تظهر فيها فرحتي الحقيقية بليلة العمر، وليس بهرجة ومظاهر تتناسب مع الجو العام لمناسبات الأفراح عادة. دخلت أمي غرفتي فقلت لها:

- سأتزوج على طريقتي؟

قالت وهي تتماسك من فرط البهجة:

- هي ليلة عمرك، ومن حقك أن تكون على طريقتك.

لم أكن أتصور أن هناك من يحكم رغباتنا الفردية ويجبرنا على مسايرة المجتمع والناس، دون أن يتوافق هذا الشيء مع رغباتنا.

حضر الخطيب للرؤية الشرعية، وكنت كأي فتاة في سني تشع

الحياة بوجهي. رتبت هندامي ووضعت عطراً خفيفاً، لم تكن أمي تتدخل في طريقة لبسي ولم يكن هناك من ينتقد طريقتي في الحياة، لكن هذا الرجل منذ اللقاء الأول وضع نقطة في بداية السطر. دخلت عليه بفستان صيفي قصير يظهرني كالأزهار المتفتحة. وكان خالي يجلس في زاوية بعيدة جهة الباب، كنت أمتلك ثقة بنفسي، لم يكن لجمالي دور فيها، إنما كنت متيقنة أنني سأقابل الرجل الذي سيصبح فيما بعد زوجي، ولم يكن لدي أي تردد أو حتى مخاوف تجاهه. آمنت بكل خطوة أخطوها، تقدمت وجلست في الجهة المقابلة له وكأني أعرفه قبل هذه المرة. كنت أشعر باستقرار مشاعري، لم أمِل إلى جهته ولا إلى ضده، بل كنت كما لو أني أجلس مع أحد محارمي. خالي كان موجوداً بالقرب لينزع الخوف المترتب على اللقاء الأول، ولما رأى أن وجوده لم يغير شيئاً استأذن بهدوء وخرج. تصورت أنه خارج لكي يحضر العصير الذي لم يكن يطرأ على بالي إلا حين استأذن. فكرت، لماذا لم أقدم العصير في مشهد تمثيلي كما تصوره لنا المسلسلات الخليجية كما لو أنه عرف اجتماعي؟ ثم رفعت بصري إليه حتى نهض وجاء ليجلس بالقرب مني قائلاً:

- لم أتخيل أن يكون حظي بهذا الجمال، فكل أملي الآن أن تكوني نصيبي.

لم يكن لي من جواب سوى أنني لم أتورع عن النظر في عينيه حين كان يتحدث إلي، فكل مشاهد الارتباك والاضطراب التي حدثت



لصديقات وقريبات في أوقات النظرة الشرعية لم تحدث لي، وكأن هناك سرّاً خفيّاً يجعلني أسلم له فيما يقول، وحين أردت الانصراف قال:

- هذا اللبس لا يناسب تربيتي!

واصلت طريقي وكأن لم أسمع جملته الأخيرة. صعدت إلى غرفتي، نظرت مطولاً في فستاني القصير. تعجبت ما الذي لا يناسب تربيته؟ تنفست بعمق وتمددت على سريري. كانت أمي تنتظر تفاصيل اللقاء الأول، لكن لم يكن بي أثر منه فعلاً وكأنه لم يكن لقاءنا الأول!

تحولت بعد ذلك حياتي وحتى ترتيباتي وخططي. كنت ألتحم بأمي في كل مشاويرها وكأنها تعلمني أبجديات الحياة من جديد، كما كانت تعلمني خطوات المشي والنطق في مراحلي الأولى. أصبحت العروس الطفلة في نظر الكثير من حولي، وكنت أبتهج لكلمة عروس في كل مرة تردد فيها زائرات أمي للمباركة على الخطبة هذه الكلمة، وكانت أمي تقول كعادتها:

- لم يتم شيء حتى الآن، هي فقط خطبة، ولم نرد عليهم بعد.

بمرور الأسبوع الأول اتصل الخاطب، ليتردد والدي في أمر الموافقة، على رغم أني قلت لوالديّ من اليوم الثاني عن قبولي لأمر الزواج. لكن والدي أجل الرد لأسبوع آخر حتى يطمئن قلبه. هنا جن جنون الخاطب فطلب أخته للاتصال بي، فكانت تحاول إقناعي

بطريقة تقليدية بالقبول بأخيها وكأن قراراً كهذا يتوقف على مكالمة هاتفية! قلت لها إن لدي شروطاً أساسية يتم بها الزواج وإني أريد محادثة أخيها فقالت:

- صالح معك.

أخذت بضع ثوانٍ لم يصلني فيها الرد، وسمعت حديثاً يدور بينهما فهمت منه أنه لا يريد مهاتفتي وأنه سيحضر قريباً ليستمع إلى كل شروطي.

أقضي معظم وقتي على الإنترنت، وتمر دراستي بمرحلة صعبة، فالسنة التحضيرية تتطلب مني معدلاً مرتفعاً حتى أتمكن من اختيار التخصص الذي أريد دراسته. مع ذلك، أخذت أمور الخطبة كل عقلي لدرجة انشغلت بها عن كل شيء. لم يحدث لي خلال الأربع السنوات التي توطدت علاقتي فيها بهذه الشاشة الصغيرة أي علاقة عميقة مع الجنس الآخر. كان لي صديقة أو صديقتان حتى تعرفت على منتدى إليكتروني كبير يضم شريحة من الكتاب والروائيين، دخلته بدعوة من صديقة ومن هذا المكان عرفت أحمد. أصبح أقرب لي من أي أحد سواه، لدرجة أنه كان معي منذ اللحظة التي أدخل فيها هذا العالم الافتراضي وحتى أغادر حدوده للنوم في فراشي. كنت أكتفي في علاقاتي مع



الغرباء بشخص واحد مدة من الوقت، حتى تأخذه ظروفه بعيداً عني، ثم ما أن يغيب حتى أتعرف على غيره حتى يشغل الوقت الكبير الذي أقضيه في فضاء هذا العالم، وكانت صداقاتي لا تتجاوز هذا العالم، لكنني كنت أتعمق يوماً بعد يوم بعلاقة تمتد بي مع هذا الصديق الذي وثق بي وأودع بقلبي أبسط تفاصيله من بوابة بيته وحتى بوابة عمله، كنت أدرك أن له حياة زوجية تخصه وحده، لذا لم يطرأ ببالي أن أقتحم حياته حتى لو شعرت أن مشاعري تدفعني جهة وجهه، لكن ذلك لم يمنع أن أستشيره في أقل الأمور، مشكلاتي البسيطة، وأسراري الصغيرة، فأنا كنت في نظره طفلته حتى لو أغويته بحديثي المعسول ، و لو توسعت دائرة أحلامي به. كان يقضي معي كل وقته حتى في ساعات عمله يفتح لي نافذة صغيرة ليستمع إلى ثرثرتي التي لا تنتهي، وكنت أتلذذ بذلك الإحساس كثيراً لأنه لم يحدث بواقعي أن وجدت قلباً يستمع إلي كما يفعل أحمد معي. وكنت أكتفي به رغم وجود الكثير ممن يطلب ودي في ذلك العالم . كنت أعشقه لدرجة أني لم ألتحم برجل منذ وعيت على هذه الدنيا كما التحمت مشاعري في فورتها الأولى لأحظى باللذة الأولى وأنا أستمع لحديث رجل يشتهيني فتستعر مشاعري معه ويلهب أنفاسي كلما انفتح حديث حميمي بيننا ، كنت

لا أفهم معنى لما يعتريني ، فهذا الحديث يحدث لذة لحظية ما أن أفيق من غفوتي حتى أقرف من نفسي كلما استعدت اللحظة بذاكرتي وهو يقول لأول مرة : أخشى أن أحبك أيتها الحمقاء .

أخبرته بما يحدث معي ليقول : تنتشين من مجرد حديث ؟

لتبدأ بعدها تفاصيل لم أكن لأكتشفها بجسدي وكأنه يسيح بتضاريسي ويعرفني على معالم هذه المدينة وأدق التفاصيل التي تحدث بي اللذة الأولى التي وصلت لها.

يشعر دائماً أني أفوق عمري لكني بلا تجارب حقيقة وكأني أكتشف الحياة معه

فحين يتحدث معي أشعر أنه رجل أربعيني بحكمته وهو ما زال في عتبات الثلاثين

كلما فتحت حديث عن الحب ألجم عاطفتي

- الحب لا يستقوي إلا على النساء العاطفيات فيجردهن أغلى ما لديهن ، لأن المرأة صاحبة الشخصية القيادية لا يشكل الحب فرقاً لديها .

أصر على موقفي

- لكن المرأة خلقت وهي تسيرها عاطفتها .



- بعض النساء تحتاج لتجربة واحدة فقط لتستوعب بعدها الحياة بكل منعطفاتها وبعضهن لا تفيد معها سلسلة التجارب تعركها الحياة ولا تحدث بها أثراً !

- يا عزيزي لا تدخل المرأة في معركة وهي تدرك نتائجها ، إنما تجازف حين تشعر أنه لا شيء لديها لتخسره !

ستة أشهر مضت ولم يقتحم حدودنا أحد، حتى حضر أول غياب حينما سافر مع عائلته بالصيف . ولمدة شهر كامل افتقدت به وجوده معي كنت أبعث بشكل جنوني عدة رسائل بشكل يومي على عنوانه البريدي وكل يوم أنتظر رده حتى مللت الصمت الذي يحاصرني بهذا العالم.

فكتبت إليه : سرقتني رغماً عني ، وامتطيت صهوة الغياب .! ما حدث بيننا من انقطاع أربك مشاعري وما عدت أعرف موقعي بخارطتك .! أشتاق لحرف يجمعنا ، لكن أخجل من تدفقي الذي لا حد له بحضورك.!

بحثت عن رسائله الإلكترونية ورحت أقرأ نصوصه وتفاصيله ، أي رجل هو؟ أرتمي بتفاصيلي الصغيرة وكومة أسراري على صدره ولم أشعر للحظة واحدة أنه منشغل بأخرى ، ويحي ، كيف أرى وكيف أشعر ، وكيف أعيش . وهذا الصديق يشاطرني سنتين من عمري وأكثر ولم أشعر بخفقة قلبه ، ومضة عينه ، تقوس ظهره ،

وحتى أصبعه المحفور حد العظم من قلم لا يبرح سبابته ،الآن أقرؤه حبّاً غارقاً بالعزلة ، وأتمتم على رسائله كأم ثكلى ، تقرأ على نعش أطفالها الفاتحة .

واجهته بكتاباته ..هل أنت عاشق ؟

- قبل خمسة عشر عاماً عشقت فتاة وتزوجت بأخرى ، ولا طاقة لدي بأن أجرب ذلك مجدداً ، فقد وصلت لمرحلة الاكتفاء .

تعرفت على الفيسبوك وهناك توسعت دائرة معارفي بشكل لم يمكنّي حصره. بت أحادث الجميع وأتقاطع معهم بشكل يومي، ومع الأيام اقتربت من صديق آخر كان يكبرني بمراحل، وبدأت ثرثرتي تأخذ شكلها المعتاد وكأن هذا الصديق أزاح كل الأسوار التي تفصل بيننا. كنا نكتب معاً وبطريقة لذيذة، نخلق الفكرة ونبحر بها. كونت معه ثنائيّاً جميلاً بصداقة تتضح بها ملامحنا الحقيقية. لم أحتج للزيف مع أحد، إذ كنت أحضر بحقيقتي. لذا كل علاقة تلتحم بي تأخذ حيزاً مني في وقتها. عاد أحمد ليلمح هذه العلاقة من بعيد، حيث تتضح ملامح علاقاتي في طريقة تعاملي مع الأشخاص، ووجد أن هناك من دخل بيننا. واجهني بتهمة الخيانة في مواضع كثيرة ، وأنا وحدي من يعرف أن تلك العلاقة لا يمكن لها أن تكون مع أحد آخر كما كانت معه، لكنه أصر على أن ينسحب أو أن يترك لي حرية الاختيار بينهما فاخترته وعاهدته على البقاء معه وحده.



مر شهر كامل على هذا الوعد لكني عدت أدراجي لأتواصل مع بدر، دون أن يعلم عن تفاصيل ذلك الأمر شيئاً. أخبرت بدر عن صداقتي الأولى مع أحمد، ليصر هو الآخر على معرفة من يكون ذلك الصديق الذي أخذ مكانة وحيزاً أكبر من مكانته، لكني رفضت إفشاء ذلك ، لأن الأمر يخصني وحدي. أكملت ستة أشهر أخرى بصحبة الصديقين وكان من المستحيل أن أضيف لقائمتي غيرهما، والعجيب في الأمر أني تخلصت من كل صديقاتي، وبقيت علاقتي محصورة بصديقين فقط في ذلك العالم الافتراضي .

كان أحمد يتنبأ بالأشياء قبل حدوثها ، حتى لو فعلت أمراً ما يغضبه كان يعرف ذلك كما لو كان عرافا يقرأ ملامح وجهي ، أمنت به بعد عدد من المواقف التي حدثت لي وأصبحت لا أخفي عليه أي شيء حتى لو كان رسالة خاصة في أحد المنتديات التي لا ينتمي لها .

فعلاقتي به منحته ما لا أمنحه أي أحد منذ ولجت هذا العالم الافتراضي لدرجة وصل به الأمر أن يكون معي في كل علاقاتي فيما بعد، أشركه في محادثاتي مع الأصدقاء كهيئة صديقة ويظل يتابع طريقة تعاملي معهم ونسي أن ذلك الأمر يحرمني لذة خصوصيتي بالأشياء من حولي .

وإثر ذلك دائماً ما يحدث تصادم عنيف بيني وبينه لدرجة يصفعني بأقبح الألفاظ ويمضي لطريقه في متاهات الغياب يومين أو

أكثر ثم يعود لسابق عهده محملاً بالشوق والتعب والحنين لعلاقة تجمعني به .

حدث وأن خسرت معرفي في ذلك الموقع وشعرت أني تهت في العالم الافتراضي،

لدرجة لعنت إدارة الموقع من أخرست فمي عن العبث وكسرت يدي فلم يكن المكان مجرد منتدى بل شيئاً خاصّاً ومميزاً أقضي فيه كل وقتي، لكن حدث وأن شطبتني يد أحدهم دون عودة وتساؤل كبير كيف يمكن لمجموعة من الأشخاص قطع صلتي بهذا العالم لأنه لم يرق لهم وجودي بهذا الشكل المتحرر !

فبقيت جل وقتي في الفيسبوك، أحادث الغرباء وألتحم بالصديقات من حولي، حتى تحدثت إلى كاتب ما وطلبت منه أن يعيدني مجدداً، لكنه بعثني لأحدهم، ومن ذلك كنت على تواصل مع هذا الكاتب «الطيب كمال» الذي كنت أرى فيه ملامح وجه أبي الذي يحصرني في إطار الطفلة. مهما كان حديثي بحضرته كانت لدي أفكار لم تنضج بعد، حيث كنت مندفعة أحياناً ومترددة وتصادمية مع أفكار الآخرين، لأني كنت أرى أنه من حقي أن أبدي رأيي في كل شيء يمر بي حتى لو لم يكن هذا العبور شيئاً يذكر. لذا تضخم شيء بداخلي، وهو أني أحمل فكراً مرفوضاً حتى قبل أن أحمله لواقعي وأتعايش معه. شاشة صغيرة تربطني بالعالم، هذه مساحتي التي أخلق في محيطها



أفكاري وأصدرها لهذا الفضاء الذي يتباين في مدى تقبله لفكري. لم يشغل بالي شيء سوى أن يصل صوتي، حتى وإن كان هذا الصوت بلا أثر يذكر. أومن بنفسي كثيراً وبأني مختلفة عن بقية جيلي، لذا تكونت أحلامي بحياة مختلفة أعيشها بالطريقة التي تناسبني ودون أن يكون للتقاليد والأعراف قبلة توجهها. أمقت التقليدية كحياة وكارتباط وكطريقة تعليم، وأحلم بشيء آخر يستطيع أن يعزلني عن هذا المجتمع الذي يفرض علي قيوده وأعرافه المتوارثة من جيل الأجداد مروراً بالآباء وحتى الأبناء، فأصبحت من الثوابت التي لا يمكن المساس بها.

كان الأمر برمته من الأمور الخارقة التي واجهتني في حياتي، ولذا اخترت أن أكون أنا بطريقتي وكما تمليه أفكاري وتطلعاتي حتى أكون في سلام مع نفسي، لكني أجلت الصدام مع هذا المجتمع لقرار مصيري أنوي فيه ضرب أعرافه عرض الحائط.

كانت الحياة تهبني من الصداقات التي تعزز هذه الأفكار، وكنت على تواصل مع أصدقاء كنت أرى في نظرتهم و أفكارهم أنهم مختلفون بدرجة كبيرة عن كل من قابلتهم خلال حياتي الواقعية، لكنني كلما تعمقت بأحدهم وجدته في الحياة الواقعية منسجماً مع تلك التقاليد، منحنياً لتلك الأعراف في كل تفاصيل حياته من زواج وتربية أبناء وتعامل مع هذا المجتمع، وكأنها من المبادئ التي لا يمكن له أن يتنازل عنها. هو زوج تقليدي ورب أسرة تظهر تبعيته بتعامله

مع أبنائه كما كان يتعامل معه والده. أصبحت القضية مجرد تنظير فارغ لملء وقت الفراغ، ولم أجد من يطبق أفكاره ويعيشها كما تفوه بها ذات يوم!

دخلت لعوالم أخرى وتعرفت على «محمد» ذلك البدوي الأصيل التحمت به في ظل غياب أحمد وبدر وكان رجلاً ناريّاً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، تعلمت أبجديات الحياة على يديه حتى خرجت بلسان شوارعي من الدرجة الأولى. كان وجوده له الأثر الأكبر على تمرسي بلغة الشارع والشتائم الجنسية التي لم أفهم مدلولاتها إلا بعد ما تبادلت معه لغة البارات وكأني أتابع فلماً أجنبيّاً ساقطاً، كان ينظر لي على أني فتاة ذات تجربة وباع طويل ولم يكن يدرك أنه ما زال بداخلي طفلة بريئة، أتلقن الدروس من كل ما يمر بي بهذا العالم ، اتضحت على ملامحي لغة جديدة استطاع أن يلمح أحمد هذا التغير السريع في طريقة تعاملي ليقول : أي عالم ولجت في غيابي

لأقول بزهو : ملهى الأوغاد .

فيرد بحنق : تبّاً لك ، قتلوا بياضك وشوهوا الطفلة بداخلك .

فأقول بلغة الأوغاد : هذا محمد ، كـ....أخته لم أفرج له عن حلما انسكب في مخيلته فغادر نافذتي .

- اللعنة على من لقنك هذه الألفاظ ، اغربي عن وجهي . وسجل خروجاً نهائيّاً لأتساءل ماذا قلت ليغضب



استمرت علاقتي بمحمد المتيمة بكتاباته حتى وصلنا لطريق مسدود حيث حدد معالم العلاقة التي يريدها أن تستمر بيننا بلقاء حي يجمعني به ولأني أرفض الولوج بعلاقات كهذه فضلت أن تستمر لعناتي له بكل مرة ألتقي به لدرجة تشربت كل ملامحه وكأني خرجت من ضلعه .

فحين وجد أن لا نية لي فيما يفكر اختار أن يرحل عن المكان الذي يجمعنا وخلف ملامحه بتفاصيل فتاة سليطة اللسان على كل من يحاول اللعب بمشاعرها .

كان محيطي من الأصدقاء يهتم بشأن المرأة وقضاياها، وكنت الفتاة الوحيدة التي لا تهتم بسلسلة القضايا المزعومة، فلم يكن يشغل بالي يوماً قيادة السيارة وحتى فكرة المساواة. أنا فتاة مؤمنة جدّاً بأن لي حقوقاً تختلف كليّاً عن حقوق الرجل، وهكذا لم يكن لي وجود في معمعة تلك القضايا التي يرتفع الحديث عنها بين أوساط النساء وتجد لها مساحات في موضوعات الكثير من الرجال. كنت مختلفة جدّاً حتى في مطالبي البسيطة والمتواضعة في نظر كثيرين من حولي.

أدرك أن تركيبة المرأة النفسية والجسمية تختلف كثيراً عن تركيبة الرجل، فما كان مني أن أكون ضد ما فطره الله لنا، لذا غالباً ما كنت أنسحب من كل نقاش تديره امرأة تزعم أن لها حقّاً في

مساواتها بالحقوق، وتنسى تركيبة الرجل والرضا بما شرعه الله لنا.

ليس لأن هذا الأمر ليس من اهتماماتي، بل لكونه أمراً يختلف عما أومن به عادة. لذا أحتقر بلبلة النساء الثلاثينيات ممن يستلمن زمام الحديث في كل مناسبة عن حقوق النساء كافة، وكأن هناك من قلدهن ليكنّ صوت من لا صوت لها ولم يتنبهن إلى أن الكثيرات منا لم يرتفع صوتها بما هو ضد فطرتها إلا الشواذ ممن تريد كياناً ومساحة ضوء تسلط عليها عويلها الثقافي في كثير من الأوساط الأدبية والإعلامية، التي تضخم مثل هذه الحالات دون أن تدرك أن هذا الصوت ما هو إلا نعيق فردي ظهر من أجل مصالحه الشخصية فقط.

لم أفكر يوماً بشيء أكبر من همي بحياة بسيطة بعيداً عن أعرافهم وتقاليدهم البالية. كنت أريد أن أنتهج طريقة أخرى من أول خطوة أخطوها تجاه عش الزوجية، لكن القيود التي تحاصرني باسم العيب والعرف وقفت مرات عدة في طريقي، فما كان مني إلا أن أرفض كل قيد يكبل يدي ويلوي عنقي.

قررت أن يقتصر حفل زفافي على الأصدقاء القريبين مني فقط. هذا الشيء مرحلة انتقالية مهمة بالنسبة لي، ولا أتصور أن وجود الغرباء سيضيف شيئاً سوى البهرجة والمظاهر الكاذبة.

الحفلة والناس والفستان وصالة الأفراح، كل تلك الأشياء لم تكن يوماً على خارطة أحلامي ولم تشغل بالي، ولا أعرف لماذا هي من



الثوابت التي لا يمكن التنازل عنها ولماذا يكون إرضاء الحضور مترتباً على التضييق على مشاعرنا في التعايش مع هذه الليلة التي لا تتكرر بعمرنا. لماذا نضع قدراً للآخرين ونسحق الصدق مع أنفسنا؟ لست مع الشح، لكن كل ذلك بسبب التكاليف التي أرفضها وتثقل على عاتق الزوج دون أن تكون سبباً في راحته وتخطيط حياته بذهن صاف.

أريد حياة مختلفة جدّاً منذ عقد القران إلى أن أمسك بيد زوجي وأسير به نحو المكان الذي يجمعنا تحت سقف واحد. لا أريد كل تلك المراسم التي تضعني كدمية تحركها أعرافهم وتقاليدهم التي عفا عليها الزمن. أريد أن أكون عروساً غير تقليدية في حفلة تقتصر على الأصدقاء فقط دون الحاجة لتجهيز مائة طاولة لا أعرف ممن سيجلس عليها سوى عدد أصابع يدي. مرهقة بالتفكير بكل هذا، وهذا العمر الذي أملكه أريد أن أعيشه كما أريد وليس كما تمليه أعرافهم المتوارثة أباً عن جد.

وصلت لقناعة أن المرأة تركع للحب فقط في حالة واحدة حين تحلم بطفل وبيت صغير وزوج تحبه لذا الكثيرات منا حين غرقت بالحب كانت تتصور أنه بوابة لحلمها الأكبر ولم تدرك أنه مرحلة من مراحل الضياع التي لم تفكر بها

ليلة لقائنا الأول كانت صفعة قدر مؤلمة لم أستوعب سحرها حتى أستوعب الآن كل هذه الأوجاع التي خلفتها. دائماً تشي البدايات -

حتى وإن كانت تقليدية- بنهايات مختلفة لم تخطر على قلب بشر.

كنت ضالعة بحبك رغم التوقيت المخطئ لهذه العلاقة، فلم يكن هناك شيء يعزلني عن فتح نوافذي، إنما أطلقتني للريح حتى وقعت بمصيدة حبك الذي أحاول حتى هذه اللحظة أن أتخلص منه بالكتابة عنك.

أكثر الصدمات مرارة تلك التي تأخذ منا عمراً بأكمله، تشكل ملامحنا بدقة متناهية، وتنخر صميم القلب بلا رحمة! أذكر تلك الليلة التي عرفتك فيها، حين كنت بإحدى زياراتي لمعرض الكتاب. لم يكن مخططاً للقاء، ولم أكن مهيأة وقتها للوقوع بحبك لدرجة كنت أذكر سلسلة الأحاديث التي غرقنا بها أنا ورفيقاتي.

كان الحب محور الحديث بداية بالرجل وختاماً بالنهايات الموجعة. كنت أقول حينها: لم يخلق رجل يفقدني اتزاني ويضيعني من نفسي بحضوره، ولم يخلق هذا القلب ليبتم ويلطم من حبيب راحل. كنت أنطلق بأفكاري من دون توقف، حتى أخرستني عيناك لحظتها وما عرفت ماذا أصنع وكيف أصنع. ليلتها خفق قلبي رغم أن حبك لم تتضح معالمه حتى الشهر الرابع من ذاك اللقاء الخاطف، لكني أخبرك بصدق، ليلتها خفق بي كل شيء وسرقتني من نفسي وجبروت مشاعري وغرور عواطفي. أتذكر الآن كلمتي، لم يخلق رجل يفقدني اتزاني. ويحي، كيف قلتها وأي قناعة كانت تتلبسني وقتها، وأي حياة كنت أغرق بها دون أن أسلك طريق لذتي إليك!



يا فاجعتي الآن لو سلكت طريقاً آخر لا يصلني بك، بعد كل هذا الحب الذي انغمست قلوبنا به. كنت أرغب بنصف قلب، نصف عين، ونصف استفاقة لتشعر بي. كم من العمر سيمضي ولن أتجاوز عتبة بابك؟ اختارني القدر لأكون موشومة بحبه حتى يقضي أمري. فمتى سينغلق سور شرعي حول خصر الحب الذي يجمعنا؟ سئمت ليالي الشوق، ليالي الغياب، ووجع الرحيل بكل مرة أبحث عنك ولا أجدك. لا تنفع لأن تكون عشيقي. هناك من يستحقني أكثر منك، لكنك في كل مرة تطلب أن تكون زوجي الذي لا أكتفي منه حتى لو اكتفيت. في كل مرة تتوسل باكياً ألا أغادرك لجهة أخرى يصعب عليك طرق بابها! وكنت أستظل بظل الحب الذي تدعيه ولا أغادر. هذا الحب منك وبك متعب بشكل لا يحتمل، تحرر من ضعفك، وتقدم خطوة. ستجدني أفتح لك الأبواب المغلقة. فقط لا تخذل هذا الحب الذي لم ينضب بحره حتى الآن.

بعد أن انتهت الاختبارات كانت هنالك أحلام كثيرة تشغلني، فشعرت بضياع روحي وسط هذه الظروف التي تحيطني. بوابة الجامعة حلمي الذي يكبر ويتلون بعيني. استقراري النفسي والعاطفي بيد زوج ينتظر فقط موافقتي، والكثير من الأمنيات التي انفلتت على صفحة كفي كعقد انفرطت حباته ولم أعد قادرة على جمعها من جديد.

دخلت والدتي لتأخذ قراري النهائي في شأن خطبتي من صالح،

فقلت:

- من أول أسبوع وافقت ولا أدري لم الخوف والتردد حتى الآن؟

- لا أثق بقراراتك!

نظرت طويلاً إلى عينيها وأنا لا أشعر بطعم قراري ذلك. كان مرحلة من مراحل الحياة بالنسبة لي، ولم أفهم معنى أن يكون لي قدر لا بد أن أرضى بكل تبعاته وما يواجهني معه ما دمت قد اخترته.

حضر بعد أسبوع مع أهله وأبناء عمومته. تحدث الرجال وأخي الصغير يتردد بيننا وبينهم، ينقل لوالدتي كل التفاصيل. حضر خالي للتحقق من موافقتي وتحديد ما يكفيني من مهر. نظرت إلى والدتي لتقول: سبعون ألفاً، ثم يمضي خالي. كان الرقم صادماً بالنسبة لي، وشيء بداخلي يرفض لغة الأرقام. لكني بدون شعور صعدت إلى غرفتي واتصلت بصالح. رفع السماعة وسط الجميع:

- من معي؟

- رغد.

فهمت أنه نهض مسرعاً إلى الخارج وأنا أسمع ضجيج الأصوات من حوله، ليقول بصوت بعيد:

- هلا رغد.



أخذت نفساً عميقاً لأنفثه عن صدري ثم قلت:

- هذا الرقم لا يعني سعري، أنا أغلى بكثير من لغة الأرقام التي وضعوني بها، وأريد أن أخبرك عن شروطي قبل أن يتم شيء!

قال بلهجته الشمالية:

- تستاهلي الخير. الرجال تحتريني. اكتبي اللي ودك تقولينه برسالة وابشري باللي يرضيك.

أقفلت السماعة وفتحت رسالة جديدة. كنت أكتب باللغة الفصحى حتى برسائلي مع صديقاتي، ولم أكن أتصور أن ذلك سيحدث فرقاً لديه فيما بعد، لكني كتبت بطريقتي:

- أريد سنة كاملة ليتم التعارف بيننا قبل الزواج. وأن أكمل دراستي الجامعية في مدينتي، وأنتقل معك فقط وقت الإجازات لمدينتك ، وشقة أرضية واسعة بالقرب من أهلي، ولا أريد شقة مغلقة في طابق علوي. كذلك لا أرغب الإنجاب من أول سنة لأني أحتاج أن تكتمل أنوثتي معك، سنتين حتى أكمل عشرين عاماً ومن ثم نفكر بالأولاد. تلك هي شروطي الأساسية ولو اختلفت معي بشيء أخبرني قبل أن يتم شيء.

رد بعد عشر دقائق قائلاً: أبشري، من عيوني. وعندما أخبرت والدتي صبت غضبها علي بسبب جرأتي في التحدث بأمور السكن

والأولاد، وهذا أمر بعاداتهم يقرره الرجل وحده. حملت بعضي وصعدت إلى غرفتي. كنت أشعر أن ما يحدث هو مرحلة ستمر هي الأخرى كمراحل البلوغ والتغيرات النفسية التي حدثت لي دون أن يكون لأحد تدخل في سيرها ونموها وحتى تصاعدها بي وانتهائها.

غادر مع أهله وكنت وقتها أنتظر مكالمة منه. على أي حال، هو خطبني بشكل رسمي وتمت موافقتنا وحدد موعد كتب الكتاب، وأصبح أمامي شهر كامل حتى أستعد لذلك اليوم الحافل بالكثير من الأمنيات. لكن وقتاً مضى ولم يرن هاتفي تلك الليلة. كنت أتصور أن وجوده بحياتي حدث مهم، رغم أني لم أشعر به أبداً. قضيت ليلتي كالعادة على الإنترنت، أحادث الأصدقاء وأتفقد مواقعي المفضلة، ونصف عيني تلمح شاشة جوالي بكل دقيقة تمر!

بعثت رسالة إلكترونية إلى أحمد أخبره عن أمر خطوبتي، ولأني كنت ألتحم به بكل تفاصيلي، شعرت لحظتها أن علاقتنا حقيقة ولم تكن مجرد مرحلة وستمضي. دقيقة فقط مضت ووجدته على الماسنجر.

- متى موعد خطوبتك؟
- في الثالث عشر من يوليو.
- هذا تاريخ فراقنا.
- ولكن الزواج بعد سنة يا عزيزي.



- منذ كتب كتابك ستكونين في ذمة رجل آخر، ولا أريد أن تكوني خائنة كما أنا معك.
- لو كنت أنت من تزوجت سأكون حتماً سعيدة.
- غير أني لا أستحقك! ، فكري جيداً يا رغد الزواج عقد مقدس ولا بد أن يكون لديك في هذه الحياة أشياء مقدسة لا تقبلي المساومة عليها ، كزواجك الآن لا بد أن تحترمي العقد وتكوني بمعزل عن كل ما يعكر عليك السير في خطواتك تجاه عش الزوجية .

علاقتنا وقتها كانت تصل بنا لعمق الأشياء لدرجة كنت أنام على صوته بكل ليلة أشعر بضعفي وحاجتي لحضنه ، كان يهتم كثيراً لأمري لدرجة بقائه في ذلك المنتدى فقط لمتابعتي بكل الردود والشيء الذي لم يتصوره أحد أنه الرجل الوحيد من كان يتقلد صوتي وقت الحاجة ويتولى الرد على كل من يتطاول علي أو يهمش قلمي

كنت أتطاول به بحيث لم ينتبه أحد لطولي الحقيقي بل كان ظلي الطويل الذي لا ينحني .

تحدثت مع عدد من الأصدقاء في غير موقع عن ذلك الحدث الجديد الذي لم أشعر بجديته حتى ليلة خطوبتي. كنت أقضي كل وقتي مع أحمد، وكم تمنيت أن تربطني به علاقة قرابة وأن لا تنتهي علاقتنا بمجرد زواجي من أحدهم، فأنا أشعر أنه أكثر من صديق، وأقرب من أخ، وأعمق من أب، لذا لم تكن السنتان اللتان قضيتهما

معه بشكل يومي مجرد مرحلة يمكنني نسيانها وتجاوزها بسلام.

في ليلة قال:

- غداً موعد خطوبتك.

- وإذاً؟

- تأمرينني بشيء؟

- فقط لا أريد أن أنشغل بك عن نفسي.

- والعمل؟

- أريدك أن تختفي يوم غد، حتى لا أراك وأنشغل بك.

- حسناً.

أردت لحظتها التملص من أحمد الذي يكسر وجهي بمشاعره ، كان حبّاً ما يحمله لي ووحدي من كنت أخشى أنه مرحلة ستمضي هي الأخرى بطريقها ولا بد أن أقتنع بشكلها لا أقحمها بقلبي المضطرب بمشاعر ي للرجال من حولي ومع ذلك كلما أخذه الغياب استعرت غيرتي لدرجة لعنت مشاعري التي غرقت برجل يفصلني عن الالتقاء به سور طويل .

كان كل همي أن لا أكسر قلبه كما حدث معه قبل خمسة عشر عاماً مضت حين كسر قلبه بحرمانه من الفتاة الكندية التي أغرم بها وهو ابن السابعة عشرة ، فحديثه بتلك الطريقة يلوي قلبي حين



يقول : لا تكسري قلبي .

لأبكي من خلف شاشة صغيرة ليتك تكون لي أكثر من حبيب عابر فعلاقتنا مبتورة الأطراف حتى لو مددت يدي لها ستفلت مني لأن هناك بالجهة الأخرى

طفلتين ينظر للحياة من خلالهما ولا أتخيل للحظة أنه بإمكانه التخلي عن أسرته لأجلي ، لذا لم يكن لدي أي محاولة في التوسع بهذا الأمر المنتهي بالنسبة لي .

أفقت من النوم متأخرة جدّاً، وكان أمامي ثلاث ساعات فقط لحضور خطيبي. كانت أمي قد تكفلت بكل ترتيبات الحفلة، وكنت وحدي من أتصور أنها حفلة عائلية كما طلبت ذلك، من دون أن أعلم بكل مخططاتهم السابقة، ووضعت للمرة الأولى أمام الأمر الواقع بفم أخرس. كنت أتصور أن صالة الاستقبال مع حديقة البيت ستكون مقر الحفلة، وعليه أخبرت صديقاتي القريبات مني فقط، ولم أعلم بأمر كروت الدعوة التي كانت من ترتيب أمي. لم تخبرني حتى لا أكون في مواجهة معها فهي تعلم مدى عنادي في الأمور المتعلقة بحياتي.

كتمت غضبي وحاولت ابتلاع الأمر حتى لا أظهر وجهي الآخر في لحظة تتطلب مني أن أكون في أبهى حالاتي. كنت أمقت حفلات الخطوبة التي تقام بصالات الأفراح، لأنها تفتقد لمعناها الحقيقي وللحميمية التي تجعل من الخطوبة شيئاً خاصّاً ومميزاً للخطيبين

فقط. أمي وحدها من تعرف طريقة تفكيري بالحياة، لذا لم تتصادم معي وتركت كل شيء يسير بهدوء من أمامي. لم أشعر أن هناك من يرتب لحفلتي بطريقة تقليدية مقيتة إلا في اليوم ذاته. كانت مشاعري مخنوقة ومضطربة. أشعر أن هذا اليوم لم يكن يومي الذي حلمت به، إنما كان يومهم، والحفلة حفلتهم، والطقوس طقوسهم. كنت ضيف الشرف في هذا المسلسل، وعلي فقط أن أمسك يد خطيبي في مشهد تمثيلي، وأن أسير بحياء مصطنع حتى أقنع الحضور بدوري في هذه الحفلة التقليدية.

كرهت أن أكون قليلة الحيلة في أمر يخص طريقة حياتي التي اخترتها ولم يكن لأحد يد فيها. تجهزت للذهاب إلى الصالون وأخذت فستاني النيلي الذي اخترته قبل أسبوعين مع إحدى صديقاتي ليكون فستان خطوبتي. كان يتناسب لونه وقصته مع ملامحي في مناسبة كهذه، لأني أحب دائماً أن أبدو على طبيعتي بعيداً عن تصنع الفخامة التي لا تناسب تفاصيلي. وحين نزلت وجدت أمي تحضر معها فستاناً آخر مختلفاً تماماً عن "ستايلي" وطريقتي في اللبس. نظرت بعينين امتلأتا بالدموع لكن الوقت لم يحن لأستسلم، فأمامي متسع لأبدو على الأقل كما أحب. بلغنا الصالون وأخذت أمي تبدي تعليماتها، ورسمت ملامحي بشكل يجعلني أضحوكة للجميع. لم أعتد أن أكون دمية أمي التي تحركها كيفما تشاء، وبالطريقة البدائية التي تتناسب مع أي فتاة تقليدية ليست بالنهاية أنا!



لبست فستاناً تفاحي اللون له ذيل طاووس يمتد من خلفي عدة أمتار، فبدوت كمهرج لعبت الدنيا بملامحه ليجني لقمة عيشه من كل ضحكة يهبها وجه طفل. تقدمت خطوة باتجاه المرآة وشيء ما يتصاعد بي حتى خنق أنفاسي. كم كنت أمقت هذه اللحظة، لدرجة أنني توقفت وأنا أكتبها عدة مرات لتمر مرارتها دون أن أستطعمها مرة أخرى. نظرت بعيني لأقول: كم أنت تبعية! ارتطمت بحقيقة كنت أرفضها وكنت أناضل منذ وعيت على أن أكون أنا وأعيش بالطريقة التي تتناسب معي، وألا يكون لأهوائهم وأعرافهم وتقاليدهم طريق إلى حياتي. كنت بكل منعطفات حياتي أقف في وجه التقاليد، لكني في اليوم الذي أضع عتبة أولى في طريق حياتي أجدني أصافح وجه التقليدية لأتحول إلى دمية خرساء تحركني الأعراف الاجتماعية.

لم أتقدم خطوة واحدة إلا والكل يحاصر فستان الطاووس، وكأن خوفهم يسبقهم أن يحدث له شيء. شعرت لحظتها أني لم أكن سوى عارضة لفستان يفوق قيمتي الإنسانية، لدرجة انشغل الكل بذيل الفستان الذي فصل كما لو كان ريش طاووس حقيقي، ولم ينتبه أحد إلى سيل الدموع الذي انسكب من عيني. التقطت أمي دمعتي الأخيرة لكنها تجاهلت ذلك حتى لا تكون في مواجهة معي. بعثت إلي إحدى العاملات لتمسح دموعي بقطعة قطن صغيرة تمررها تحت عيني وهي تقول: تماسكي من أجلك هذه الليلة. كنت أشعر أني ضائعة وسط أطنان من الألوان التي أفقدتني نضارة الشباب الموجودة

بملامحي، حتى بدوت كما لو كنت سيدة ثلاثينية نحتت ملامحها بحدة الألوان الصارخة لتبدو أنثى صاخبة! توجهت إلى السيارة وخمس عاملات يتبعن ذيل الطاووس ويد أمي تمسك بيميني. لم تكن عباءتي تتسع لفستاني لأنها كانت على مقاسي وليس على مقاس فستان الطاووس الذي صمم خصيصاً لحفل خطوبتي، والذي كلما تذكرته شعرت بحمقي وأنا أسير به أمام مئات النساء اللاتي لم ينتبهن لتفاصيلي بل أشغلهن الفستان عن النظر في عيني.

نما ليلتها حقد في داخلي نحو أمي بشكل لم أتخيله. كنت بسببها لعبة في مسرح استعراضي يفتقد الحس الشاعري. قلت لها وأنا في صالة الاستقبال الخاصة:

- كيف سألتقي صالح؟
- لا عليك. أنا رتبت كل شيء. سيظهر برفقتك وتتوجهان للمنصة في مسيرة أنا وقفت على كافة تجهيزاتها.

تنفست بعمق وقلت وأنا أشعر أنني تحولت لحظتها فتاة تقليدية:

- على أغنية أم موسيقى؟
- على موسيقى.

ثم أردفت قائلة:

- تركية.



التقطت لي مجموعة من الصور برفقة خالاتي وأطفالهن. ولم تمر دقائق حتى جاء صالح برفقة أمه وأخواته في موكب. لبست "جلال" الصلاة لأغطي ظهري العاري، لكن أمي سحبته من بين يديّ حتى لا يظهر بكاميرا الفيديو التي كانت قد أدارتها نحو وجهي لتسجل الحدث منذ اللحظة التي تلتقي فيها عيناي بعيني صالح. وقفت وهو يتقدم باتجاهي. صافحني وطبع قبلة على رأسي ثم وضعت يدي بيده ومشينا وقلبي يخفق. أجهل تفسير خفقانه، لكنه يقيناً لم يكن حبّاً أبداً. خطوت أول خطوة لتقف الجموع من النساء وتدار موسيقى حزينة حالمة لعبت على أوتار قلبي. لم ينتبه الجميع للوتر الحزين، غير أن قلبي وحده الذي التوى وجهه واحترق.

كانت عدسة الكاميرا تسطع بعيني، وكان لا بد أن أبتسم على رغم كل الحرائق التي تنشب بقلبي. توقفت مرات عدة وأنا أنتظر من يحمل ذيل الفستان معي بكل خطوة أخطوها للمنصة، أو خشبة المسرح التي زينت بالشيفون وبالأحجار الكريمة التي تحمل لون ثوبي، مشكلة ما يشبه عش الطيور بمساحات خضراء من الساتان الأخضر، صممت بشكل يوحي كما لو أنها كانت لوحة فنان تشكيلي مبتدئ!

كنت أشعر بفخامة الأشياء من حولي، لكنها كانت بشكل مزدحم يفتقد للمسات الإبداعية التي تضفي جوّاً من البساطة التي أتمناها. كانت ترفاً خرافيّاً وبهرجة أكبر من أن يتحملها قلب يؤمن بالبساطة في أدق تفاصيله. وصلت إلى المنصة وأنا أضع كل حملي على كف

صالح الذي يلتفت كل مرة خلفي، ليتحرك الذيل خطوة وليتقدم بي خطوة، وكانت أمي بجانب الكاميرا توجهها حيث تريد. المصورة كانت مطيعة جدّاً، وتعجبت كيف لو أني كنت مكانها لكنت رميت الكاميرا في وجه أمي وغادرت المكان لأني لا أحب أن يتدخل أحد في عملي وطريقة القيام به. لكنها كانت عكس طبيعتي، ودوداً ومتحملة لكل انتقادات والدتي التي هي في النهاية من دفع تكاليف التصوير وتبعاته، لأن هذا الأمر الوحيد الذي رفضه صالح وتكفلت به والدتي دون أن تعير رفضه أدنى اهتمام، وكنت آخر من يعلم بكل شيء حدث في تلك الليلة!

وقفنا أمام المنصة، وتوجه صالح لتقبيل رأسي مرة أخرى، وهذه المرة بعد أن وشوشت في أذنه والدتي. صفق الحضور وكنت أشعر ببلاهة المنظر، كل تلك البهرجة والمسرح والجمهور من أجل حفلة خطوبة؟

صعدت صديقتي مها وهي متلثمة وأمسكت بيدي. قلت بطفولة:

- ليه ما بستيني؟
- حتى لا أنزع عنك زينتك. قالتها هامسة.
- لكني قبلتها رغم ذلك!

أحضرت قطعة الجاتوه بخمسة أدوار في عربة ذهبية،



وكان هناك صندوق ذهبي فيه عقد وخاتم فقط. ولأني سبق وأن ارتديت الأقراط، نظرت إلى مها وضحكة تسكنني. خشيت أن أطلقها فأتهم بقلة الذوق في مجتمع تسكنه عقليات معلبة بسياسة العيب والعرف. أخذ صالح يدي وألبسني الخاتم، بينما الكاميرا تلتقط كل شاردة وواردة والجمهور يصفق. الحكاية كانت أشبه بخرافة ترويها عجوز على حفيدتها الصغيرة التي تؤمن سلفاً بكل خزعبلاتها. انحنى صالح ليلبسني العقد، بيد أني دفعته عني وسط نظرات النساء التي عبرت عن فضول قاتل نحو ما يحدث بيننا. فهم صالح الإشارة وترك العقد بيدي، فألبستني إياه مها، والتي التقطتها الكاميرا على رغم تنبيهاتها بأن لا تظهر بالصورة ولم أكتشف ذلك إلا بعدما أدرت المقطع لاحقاً.

توجهنا نحو عربة الجاتوه في مشهد تمثيلي سخيف. كنت أقهقه على كل شيء يحدث من حولي، لكني أقنعت نفسي أن الحكاية مسرح العرائس، وأني لا بد أن أعيش كل تفاصيلها كما كنت أفعل في طفولتي. كنت في وضع مزر، وكأن هناك من يمسك الريموت كنترول ليتحكم بكل تحركاتي وكل ما يصدر عني! اقتربت مني والدتي فقلت:

- تذكري. كل هذا لم يكن اختياري!

لم تقل شيئاً. ثم تنفست بعمق وهي تطبع قبلتها على خدي.

مللت من الحكاية. ساعة كاملة والكاميرا مزروعة أمام وجهي،

وصالح لا يرفع بصره أبعد من ثوبي. والنساء يرقصن بعباياتهن المطرزة والتي تصف مفاتنهن أكثر مما تستر. قلت بصوت مسموع:

- كفى!

التقطت المصورة أنفاسها وهي تنظر إلى عيني والدتي التي رفعت يدها لتنتهي المسرحية. اقتربت من صالح وقلت له:

- خلص خلينا نطلع لصالة الاستقبال ولوحدنا.

قام وأمسك بيدي، وأمي تنظر إلى الساعة وسط ذهول. ربما كان هذا الأمر الوحيد الذي لم يحدث وفق تخطيطها. اقتربت مني:

- الساعة العاشرة. خليك ساعة واحدة على الأقل.

- لا. أنا اختنقت.

تغيرت الأغنية سريعاً ودارت موسيقى أسمعها لأول مرة. غادرت الجمهور والحفلة حتى وصلت إلى صالة الاستقبال. وما أن جلست حتى نهض صالح قائلاً:

- موعد العشاء عند الرجال. لا بد من حضوري هناك!

هذا الشيء الوحيد الذي لم أتوقعه ولم أحسب حسابه. طبع قبلته على جبيني، وكأنه لا يعرف غير هذا المكان ورحل. بقيت وحدي، والكل يتصور أن صالح ما زال معي بينما لم يكمل معي عشر دقائق. لكني كالعادة تصفحت الإنترنت من هاتفي. وما أن مرت ساعة



حتى اتصلت بمها لتحضر مع أمي وخالاتي. حاولت والدتي إقناعي بالعودة إلى المنصة، لكني رفضت وبقيت أنتظر عودتنا إلى المنزل. حضرت أخوات صالح من الصالة ورقصن أمامي، فانزاح الملل عن صدري تدريجيّاً إلى أن رقصت معهن على رغم أن فستاني يكبلني. اعتقدت أني أشاركهن الفرحة حتى لو لم يصل شعورها إلى قلبي.

عدت إلى البيت قبل عودة أهلي بساعة كاملة. رافقتني صديقتاي مها وسارة صديقة الطفولة التي حضرت متأخرة ولأول مرة، لأنها كانت عروساً في أسبوعها الثاني. كنت أشعر أن بي طاقة، وعلى رغم التعب والضيق الذي أشعر به كان هناك إحساس خفي أشعر بلذته، بيد أنه لم تتضح ملامحه! لبست فستاني النيلي ورقصت حتى تخلصت من كل المشاعر السلبية التي امتصصتها منذ بداية الحفلة. كانت مها تشاركني الرقص في حالة اللاوعي حتى وقعت صريعة أمامي. لم يكن في البيت سوانا فخطر على بالي أنه ربما انخفض السكر في دمها. عمدت إلى إحضار كوب ماء وضعت به بعض قطع السكر، وأسقيتها المحلول لتعود وتبصر الحياة بعينين ذابلتين. وهكذا كانت ليلة خطوبتي لا تنسى بالنسبة لمها، على رغم أن معرفتي بها لا تتجاوز حدود الجامعة حيث التقيت بها بعدما جمعتني بها "قروب" المكتبة التي انضممت لها مؤخراً، لأجد يدها بيدي وكأنها صديقة عمري.

وقعت على ملكيتي لرجل يكبرني بخمسة عشر عاماً، وتساءلت: لم التوقيع؟ هل هي صك أوقع عليه بشرعية جسدي ليسيح به كيفما

يشاء؟ أم أنه نظام الملكية والتبعية وعلي فقط أن أوقع؟

كنت أسير بي إليه وسط أهازيج تقليدية جداً، أنا التي كنت أرفض أن يسيرني أي قانون أجد من يسيرني هذه الليلة كيفما يريد. كتبت كتابي وأنا لا أبالي بالقادم من أيامي كيف سيكون؟ حتى ملامحي البريئة تمت إعادة تشكيلها .تغيرت كل قناعاتي بحفلات الخطوبة والبهرجة غير اللائقة، وأصبحت كالحمقاء بفستان أظهرني مثل بالونة فارغة طليت بألوان قوس قزح ثم قدمت على مسرح للاستعراض دون أن أعترض.

أنظر إلى تفاصيلي. كل ما بي لم يكن طبيعيّاً: وجهي، وكمية المسحوق الأبيض الذي أفقدني التعرف على ملامحي، وشعري القصير بتسريحته المستعارة، وكومة القش التي دست بصدري الصغير ليبدو مكتنزاً ويرضي الجميع من حولي. لم أكن حقيقية، وهذا الأمر جعلني أتعايش مع الوضع كممثلة بارعة دفعت إلى وسط المسرح بابتسامة مصطنعة. كنت دمية عروس، لم أكن أنا، وهذا الأمر لم يكلفني حتى الشعور بالرجل الذي يقبلني لأول مرة. تبّاً لهم، لم يسرقني الفرح كما سرقهم. كانت ليلة حافلة بكل شيء، وتذوقت مرارتها مرغمة بابتسامة عريضة.

عادت أموري كما كانت، لدرجة أشعر أن تلك الليلة لم تكن سوى حلم مر على خارطة أيامي. عدت لعاداتي وكأن خاتماً لم يقيد إصبعي. سألتني أمي عن صالح، فقلت:



- لم يتصل بي حتى الآن.

- سيتصل بك حتماً، لكن لا تتعاملي معه بفوقية. حاولي أن تكوني أكبر من تصرفاتك الصبيانية. الآن تغير كل شيء ولا بد أن تستوعبي حياتك الجديدة.

فكرت ملياً بهذه الحياة الجديدة التي تتحدث أمي عنها. لم يتغير بي شيء حتى أستوعب هذا التغير! مجرد خاتم صغير زرع بأحد أصابعي. أخذت مكاني المحدد من الأشياء حولي، وحفظت السيناريو، وأجدت التمثيل بدقة متناهية بانتظار ما يزرع الطرف الآخر بروحي، حتى يكتمل المشهد للجمهور وينتهي المسلسل. لكني تساءلت بيني وبين نفسي: لماذا البكاء على قدر صنعته يداك؟ حين نفقد وجهتنا لا تكون للأشياء الأخرى أي قيمة في خلق سعادة مسلوبة. هذا ما حدث معي. لم يكن صالح وجهتي، إنما أردت تجربة مرحلة معه، ولم تتحقق كما حلمت بها يوماً ما.

بعد ثلاثة أيام عاد صالح بهدية تقليدية جدّاً. ثارت كل مشاعري حين استقبلتها من يد أخي الصغير الذي لم يتجاوز العاشرة عندما جاء يحمل رقماً جديداً وجهاز جوال في علبة جميلة. لم يكن هناك وقت لأفكر، لكني أعدت الرقم إليه مع أخي وحملته رسالة ليخبره أني لن أغير رقمي مهما كانت أسبابه المزعومة، وأهديت الجوال أخي الصغير. صعدت إلى غرفتي وشيء ما يكويني، واحتجاج مقيت على

الطريقة التي تعامل بها معي في أول خطوة في حياتنا. كم أكره أساليب التشكيك حتى لو كانت بدون قصد، لكني ظللت على موقفي بانتظار المكالمة الأولى منه لأنفجر بكل مشاعري المكبوتة منذ ليلة خطوبتنا، لكنه خذلني كما لم يفعل أحد من قبل ولم يتصل بي. كنت أردد بصوت مسموع وأنا أنظر إلى عيني في المرآة: لم يكن هذا قدري.. هذا الرجل لم يكن قدري . صمتّ بحنق وأنا أتأمل ملامحي البريئة التي أشعر أني دعستها دون رأفة بسنوات عمري!

تخليت عن كل أصدقائي هكذا وبدون مقدمات، وضعت علامة x صغيرة وربما لا تلمح، وأدرت ظهري دون أن أترك رسالة وداع لمن جمعني بهم تواصل دائم منذ مطلع العام الماضي حتى هذا العام. لم يكن صالح سيئاً بمقاييس من حولي، فقط هو في نظري رجل تقليدي من القائمة السوداء التي لا يمكنني التعايش معها.

كتبت عن خطوبتي بشكل شفاف في ذلك المنتدى الذي انضممت له مؤخراً. كنت أكتب تفاصيلي وأفكاري ورؤيتي لكل الأمور التي حدثت دون أن يكون لي قرار فيها. لم يشغل بالي شيء وقتها سوى أني كنت أريد أن أنفث هذا الضيق من صدري، ومع ذلك سلمت في قرارة نفسي أن خطوبتي تجربة ربما لا تكتمل.

عدت لسابق عهدي، حين أتخذ من الرقم واحد ظلي الذي يكبر بي ولا يفارقني، حتى أحمد الذي أحببته واتخذت مكاني ما بين أطفاله وزوجته سلخته من ذاكراتي



في تلك اللحظة فقط وكأنه لم يسكن بي ولم يتدفق حبه في شراييني. وكانت قائمة ماسنجري في حالة فوضى وضجيج لا يهدأ، لكنها أصيبت صباح اليوم بخرس أفقدها حركة الحياة، وشل لسانها الذي تثير به سخرية من حولها لتتحول إلى صفر. تلقيت التهاني من الصديقات وعدداً من الرسائل المنمقة ممن جمعني بهم العالم الافتراضي وانشغلت بالرسائل التي تنتظر ردّاً يليق بحروفها.

انكمشت في سريري. كيف لهذا الفرح أن يلمع بأعينهم في الوقت الذي لم يلمس روحي بعد أن كنت أشعر أن الحياة لو مضت بي على هذا المنوال ستكون مقيتة، لأن أغلب عاداتي تتكرر كل يوم. حتى أمر خطوبتي لم يحدث شيئاً ولم يدخل صالح عالمي الصغير بعد. كنت أنتظر اتصاله، حتى مر الأسبوع الثاني ولم يحدث أي أثر. مللت من قيد الخاتم الذي أطوق به إصبعي بلا معنى. كثير من الوجوه التي التقيت بها على الرصيف وأخذتها بطريقي لتزدحم بها نافذتي، البعض منها تسربت ملامحها بلا رجعة، والبعض بقي هناك بلا ملامح، والقليل جدّاً أخذ مكانه ومساحته مني.

ما زال المجتمع تقليديّاً، تحكمه العقول الضيقة رغم بهرجة الحرية التي يثرثر بها الأغلبية هنا! كنت أومن أن كل من يتحدث عن معتقداته في الإنترنت يمارسها فعلاً على أرض الواقع، ولم أكتشف وهم ذلك إلا بعد ما التحمت بعدد من الأصدقاء الذين تطوعهم المجتمعات حسب أعرافها وتقاليدها ولم يبق لهم سوى الهرطقات

التي ينادون بها في ساحات أدبية وإعلامية.

أسوأ ما قد يحدث أن تجد قلبك بمكان وعقلك بمكان آخر، فتكون روحك في عزلة تامة! عدت إلى عالمي الافتراضي. لم يكن لخاتم بسيط أن يعزلني عن كل من عرفت خلال سنتين مضتا بشكل يومي. وفي يوم دخلت الإنترنت بالصباح لأجد رسالة خاصة بذلك المنتدى، ومن كاتب لم أكن أتصور وجوده في هذا الوقت بالذات وفي هذا المكان. ولأن هذه الرسالة اعترضت حياة كاملة وليس طريقاً فقط، أذعنت جوارحي لكل حرف حملته هذه الرسالة. قدري أن أساق إلى حب جارف في مجتمع مقيد بالعرف والعادة والقانون القبلي، في وقت لا أرى عقيدة ولا شرعية لتلك القيود. علي أن أخرس فمي وأن أدلي رأسي مع الجماعات وأن أكبل عقلي كما يفعل الكثير في مجتمعي. لم يكن بوسعي أن أتجاهل ذلك الاسم، ففتشت في مذكرة الأرقام في درجي الصغير لأجد رقمه مع مجموعة من أرقام الأدباء التي دونتها للأيام فقط، وجاء هذا اليوم الذي طلبت فيه الكاتب بعد خمسة أو ستة أشهر من تدوينه. كنت أتطلع إلى كل حرف خطه لي وأنا أستعيد لقائي الأول به ليكون هذا اللقاء إشارة قدر. جمعتني به الحياة مرة أخرى عبر رسالة عابرة كتبها ولم يكن يدرك أنني ذات الفتاة التي التقت به بمعرض الكتاب ولم تلق بالاً لكل أعراف المجتمع وعاداته.

كانت لدي ميول أدبية لم تكن لتظهر لولا قراءتي لأول رواية ألفها ذلك الكاتب الذي وجدتني بإحدى دور النشر أندفع باتجاهه



دون أن أضع أية اعتبارات دينية أو اجتماعية، وكأني لحظتها في خلوة شرعية مع رجل أغرمت بحرفه. نسيت كل الوجوه التي تتزاحم حولي من أجل شراء كتب من تلك الدار ولم يكن لديه وقتها عمل، لأني عرفت فيما بعد أنه يجالس أحد أصدقائه في ذلك الركن. وقف لأجلي وأنا أخترق صفوف الرجال لأمد له يدي، وأنا لا يفصلني عن وجهه سوى خطوة واحدة. توقفت بي أنفاسي للحظة. كنت جريئة لدرجة لم أفكر أبعد من تلك اللحظة. تردد في مصافحتي، وأنا أرى تردده في عينيه، لكنه تجرأ أخيراً ومد يده وهو يتجاهل النظر في عيني ويصوب عينه لجهة صديقه الذي لم يرفع رأسه عن الطاولة وسط النسخ التي يوقع عليها بشكل سريع. لم يكن مظهري مغرياً بحيث يقبل رجل بمكانته على مصافحتي، لكن الطريقة التي قدمت بها إليه أربكته، بحيث خلدت اللحظة في ذاكرته كأجمل موقف حدث معه من خلال انطباعاته فيما بعد عن المعرض والناس والكتب.

فتحت رسالته للمرة الثانية، شيء يخفق بقلبي أجهل كنهه، لكني أجزم أنه لم يكن حبّاً خالصاً، كان شيئاً جميلاً وفريداً ومختلفاً.

عزيزتي/ فـاء..

لم أتوقف عند أي موضوع كتوقفي عند خبر خطوبتك وحديثك عن الرجل الذي كتبت كتابك عليه. ومن تجربة مشابهة تحتم علي نصيحتك كأخ لا يبتغي من وراء هذا الأمر شيئاً، لا تتزوجيه. هذا

الرجل لا يستحقك. ربما تجدين في القادم من الأيام من تلتقين معه في نقاط كثيرة رغم أن الاختلاف في بعض الحالات جنة. أتصور أنك قادرة بشخصيتك على اتخاذ قرار الخلاص من هذا الزواج التقليدي الذي لا يتناسب مع سنك وفكرك وكل بوادر التحرر التي تظهرها أفكارك. الزواج بهذه الطريقة يقتل الحياة بداخلك، وما زلت في مقتبل العمر، فلا تدفني رأسك في حياة تقليدية. كنت كل الوقت تتذمرين من الأساليب التقليدية التي يفرضها علينا المجتمع الذي نسكنه، فلا تنساقي خلف حياة كهذه لأن الخيارات والفرص ما زالت متاحة أمامك. الطلاق شبح بشع يسكن تفاصيلك ويحرمك لذة مواصلة الحياة، وهذا الذي لا أريد أن تصلي إليه وأنت في سن دون العشرين.

أخوك/ سعد مطران .

أخذت هاتفي وأنا أستعيد اللحظة التي جمعتنا، وكأن شهوتي تجمعت كلها براحة كفي لتعانق كفه بحرارة لم يسبق لي أن تعرفت عليها بعاطفتي منذ تكونت. كان وجهه يحمر وأنا أقبض بكل جرأة على راحة يده، وكأني أريد أن تندمج أصابعي بأصابعه في لحظة توقف بها الزمن ولم يجعلني أنتبه لكل من حولي سوى تملصه برفق مني لأهمس له: وقع لي على الرواية. سحب كتاباً وهو ينحني على جزء من ذلك الرف ويوقع، لأقترب في لحظة خاطفة وأهمس من جديد: اكتب رقمك، ليقلب الكتاب ويكتب رقمه سريعاً على الصفحة



الأخيرة. أقفل الكتاب وسحبته من بين يديه حتى ضرب خدي بكتفه حين اعتدل في وقفته. وليت ظهري وهو يخرج من محفظته ثمن الرواية. كنت قد ابتعدت بخطوات متباعدة وكأني خرجت من غياهب الجب إلى الحياة من جديد.

أشعر بتورمه في ذاكرة الأشياء الصغيرة التي لا ألتفت لها عادة ، في كل مرة أحاول طرق الأبواب التي لا يكون خلفها ، يتطاول ظله لدرجة يخلع سقف الأشياء من حولي ويعانقني .

تسارعت ضربات قلبي وإذا بي أقف بركن الطفل أقهقه عالياً دون أدنى اهتمام بالوجوه التي تمر بي. انتبهت لفتاة كنت أتصور أنها في مثل سني حين بدأت تنهر بصوت عال رجلاً ملتحياً وهو يقول:

- الله يصلحك غطي عيونك.

فترد عليه:

- ما راح أغطي عيوني، من اليوم تلاحقني وتارك العالم كله.
- ما يكفي يا بنتي أن ما معك محرم تستري الله يجزاك خير.
- حل عني، أوف، وعيوني ما راح أغطيها.

علت ابتسامة أكثر الوجوه التي كانت تمر من هذا المكان. اقتربت من الفتاة وأنا أقول في أذنها:

- بابا ينتظرك عند البوابة، يا لله مشينا .

تصورت أنها تفهم مقصدي وتسير معي لأبتعد بها عن التجمعات التي حدثت بسببها لكنها بكل جرأة قالت:

- غلطانة يا أختي.

أخذتها بيدها ومشينا حتى توقفت عند دار الفكر العربي ، فودعتها ومضيت. كنت مع صديقاتي وقتها وأنا أدرك أن الكتب آخر اهتماماتهن، لكن الزيارة كانت للفرجة وتمضية وقت معاً دون أن يكون لنا هدف آخر. كنت أرتدي لثاماً بعباءة على رأسي دون زينة. ربما لم ينتبه أحد إلا إلى العباءات المرصعة بالألماس والأحجار الملونة، لأن أغلب الأنظار مسلطة على تلك الموديلات من العباءات التي تظهر الزينة أكثر مما تستر. كنت مقتنعة بعباءتي، على رغم أن لدي هواية خرق القانون بطبيعتي. لم أكن مطيعة. كنت أتصرف حسب هوى نفسي، ولا ألقي بالاً لكل محظورات المجتمع وتقاليده، لذا كنت جريئة ومندفعة بكل مواقفي، ونادراً ما ندمت على تصرف. ربما لم يكن يسعفني عمري في النظر إلى تصرفاتي التي لا تروق لمجتمع يقيم حد التقاليد والعيب والأعراف على كل من يخالفه.

اتصلت بالكاتب "سعد مطران " وأنا أستعيد اللحظة التي وقف بها قلبي مرات عدة، لكن صوته أتى بعيداً:

- أهلاً رغد. سأتصل بك بعد ساعة. أنا الآن مشغول في العمل!

أقفلت وأنا أنظر إلى رسالته وأتنفس بحنق. ربما كان يتهرب من



الحديث معي. تذكرت محادثتي الأولى له بعدما رجعت من المعرض. كان وقتها لم يترك الرنين يكتمل، حيث أجاب فوراً:

- أهلاً، من معي؟

كان ينتظر اتصالي بعد معانقته لكفي الشهوانية. لم يستمر الحديث بيننا أكثر من خمس دقائق، لأني لا أشعر معه سوى أنه كاتب جميل جدّاً. وكان يردد كل الوقت: من ذوقك، الله يسلمك، على الرحب دوماً. وحين اتصلت بعدها بشهر لم يجبني بل فضل الاتصال على حسابه. كنت أتسلى وقتها. لم يكن هناك حدث يستدعي اتصالي، لكنه صادف أنه بالبيت ليستمر حديثنا بأريحية أكثر، حيث سألني عن عمري وما أن أجبت حتى قال:

- وجدت تفسيراً لما حدث بيننا.
- إذاً ترى أني مراهقة؟
- أتصور أن جريئة هي الكلمة المناسبة.

انتهت المكالمة ولم تحدث بيننا أثراً. فقط ملأت وقتي وفضولي عن انطباعه تجاهي، لدرجة حدثت أمي عن الكاتب "سعد مطران" ومكالمتي له، وكأن الحديث مع المشاهير أمر لا يستلزم عقاباً!

في التاسعة صباحاً رن هاتفي لأجده المتصل. خفت من الرد عليه، وكأن كل ما جهزته سابقاً تبخر من بالي وهكذا ترددت في الرد عليه حتى توقف الهاتف عن الرنين. تنفست ببطء وخرجت

من غرفتي ودخلتها عدة مرات في الدقيقة الواحدة. أقفلت باب غرفتي ورجعت وفتحت الباب. نظرت عبر السلم إلى أرضية الصالة في الأسفل. كنت في حالة خوف أن يكتشف أحد أمري. ذهبت إلى غرفة أمي ورجعت وتذكرت أنها الآن في عملها. لم ينتبه أحد لما حدث بي جراء هذه المكالمة المرتقبة على رغم أنها كانت مكالمتي الثالثة له، لكن الأمر تغير الآن، وكأني وقعت في غرامه بذات اللحظة التي أتنفس فيها من أعماقي. وجدتني مهيأة للرد على اتصاله الثاني بعد خمس دقائق:

- أهلاً.

- يا هلا يا هلا.

- كيف الحال؟

- الحمد لله، كيف أمورك أنتِ؟ بشريني عن النتيجة؟

صمتّ قليلاً، فأردف قائلاً:

- أفاااا توقعتك "دافورة".

- معي مادة فقط.

- لاحقة خير إن شاء الله.

- بعثت لي مسج بالمنتدى!

- أي منتدى؟



- جسد الثقافة.

- لا تكوني العضو فاء؟

- هي أنا.

فقال قبل أن يدع لي مجالاً للرد، بل اندلع كفوهة بركان أحرقت كل دواخلي:

- منذ اليوم الذي صافحتني فيه استحللت دائرة اهتماماتي يا رغد. أنت قدري. صدقيني القدر لا يعبث معنا. وأنا رجل لا وقت لدي للعبث. لدي حياة أعيشها وفق رغباتي ضارباً بكل تقاليدهم وأعرافهم عرض الحائط وأنت خُلقتِ على مقاسي ولتكوني نصيبي من هذه الدنيا.

- كتب كتابي وانتهى الأمر.

- لم ينته بعد، أنت قوية وجريئة بما فيه الكفاية لتقولي لا. قولي ذلك وتحرري. الزواج شراكة واندماج، فكر وروح، وكيان علاقة مختلفة تماماً عن كونها عملية لقاح. لا تهلكي نفسك. عباءة هذا الرجل لا تناسبك. قلتها قبل أن يكون لي مطامع أخرى وقبل حتى أن أعرف أنك تلك المجنونة التي صافحتني بشهوتها وليس بطفولتها. لكني الآن أقولها. أنا أرغب بك زوجة يا رغد على سنة الله ورسوله.

شعرت بالأرض من تحتي تدور، ولم يكن لي أن أقطع حديثه

وهو يقول:

- أنا أناسبك يا رغد. صدقيني لست عابثاً ولم يكن لي أن أهدم حياة أتوقع أنها ستنجح ولو بنسبة ١٪ بل رغبت بك لأني أدرك أن كل مواصفاتك تناسبني، وأنك ستفشلين لو تزوجتِ ذلك الرجل الذي تتذمرين منه بهذه الطريقة وأمام الملأ. أنا رجل شرقي وغيور جدّاً، لكن صدقيني لست تقليديّاً ولا يمكن لي أن أكون بعد ما جربت الزواج التقليدي. أريد أن أفوز بك هذه المرة وليس كما حدث بالمعرض، حين فزتِ بي من بين الكثير من الفتيات اللواتي لم أتجرأ أن أكتب لهن رقمي بهذه الطريقة وخصصتك به وحدك.
- أنا لا أملك قراري، وقد وقعت على ملكيتي لرجل آخر.
- أحرقي تلك الورقة، لا تجعليها قيدك، أقسم أني سأتزوجك لو فعلت.

شعرت بصدقه معي، لكن وجه صالح كان يحضر وقتها وبقوة في ذاكرتي. كنت أطلب منه مهلة للتفكير فيرد:

- أنت قدري، وتذكري إشارات القدر بيننا. لم أعد للمنتدى منذ سبع سنوات ولم أكتب رسالة واحدة خلال وجودي به، أو ربما لم أستخدم تلك الخاصية مع أحد. موضوع خطبتك كان أول موضوع أتوقف عنده كثيراً، وأول رسالة كتبتها كانت لك. لم



ألتق فتاة تصافحني حتى تثير في رأسي ألف سؤال لم أجد له إجابة. الآن فقط عرفت أنك قدري ونصيبي يا رغد. فكري بي جيداً، فكري بأمري، بقصتي معك، بلقائنا. لا تنظري بعين الرحمة للرجل التقليدي. تلك الرحمة لن تنجب لك حياة بل موتاً، موتاً يا رغد. لا تدفعي ثمن هذا القرار شبابك. أنت صغيرة جدّاً أمام ما ينتظرك. لم تعجنك الحياة بعد، ولم يقوَ عودك لتواجهي كل صراعات الحياة. فكري لمرة واحدة في حياة تجمعك معي، وكيف ستكون تفاصيلها، وأنا الذي قرأتك كثيراً وعرفت ملامحك والأفكار التي تسكنك حتى قبل أن أحلم بالارتباط بك. كل تلك الأفكار التي تراودك أومن أنها لا تتعدى خيالك. أنا وحدي من يفهمك ويشعر بكل حرف كتبته. أدرك أنه لم يقرأ حرفك أحد من أهلك، لأن طبيعة أفكارك لا يمكن أن يتقبلها كل من يهتم بأمرك، ولأنك تخجلين من البوح كتبتها باسم مستعار. أنا وحدي من يجعل لكل أفكارك صوتاً وأثراً. فقط فكري من أجلنا وكيف سيكون مستقبلنا. أنا عزفت عن الزواج من تجربة أولى قبل ست سنوات، ولم أجد خلالها امرأة قادرة على تغيير قناعاتي حتى وجدتك يا رغد. صدقيني، الحياة متعبة بدون شريك يتوافق معك بكل أفكارك ويشاركك نفس الاهتمامات. الكتابة حياة بالنسبة لي وأريد من يشاركني هذه الحياة، لا من يقف بكل محطة مهمة بحياتي ويعرقل سيرها.

أنا تزوجت سابقاً وكنت أتصور أن الزواج عملية لقاح وأن ينتهي بي الأمر إلى بيت أجد فيه راحتي وسكني وعدداً من الأطفال يزينون الحياة في نظري، ولم أتصور أن الزواج عملية منهكة جدّاً أخذت مني قوتي وجلدي ولم يعد بي شيء صالحاً لمزاولة الحياة. كنت أعرج بالحياة بقدم ونصف القدم يا رغد، ولك أن تتصوري كاتباً مغموراً في بداية طريقه تزوج مبكراً. كيف له أن يتحكم بكل الظروف من حوله وهو أمام زوجة ترى أن ما يقوم به كلام فارغ لا يؤكل عيشاً؟ لك أن تتصوري كيف تكون الحياة مع زوجة لا تفهم من الإنترنت سوى أنه مشروع خيانة زوجية لا أكثر، وكيف تدور الصراعات كل مرة بيننا حول هذه الشاشة الصغيرة دون أن تستوعب معنى أن يكون لي وقت خاص لا أحد يتدخل بالطريقة التي أقضيه فيها. تحدثت طويلاً، أعلم يا رغد، لكن لو لم تكوني قدري لما تحدثت معك مثل الآن. رغد.. آلو ..

- معك يا سعد ، لكنك تعلم أن الأمر خرج من يدي.
- اصمتي، أرجوك، لا تقرري الآن.
- سعد ، حضرت أمي، علي أن أغلق الهاتف. سنتحدث غداً مثل هذا الوقت.
- رغد، اتصلي متى وجدت وقتاً حتى لو كان في وقت مبكر.



أقفلت السماعة وبكيت. لم يكن لي أن أضع حياتي على المحك وأكون بين رجلين، بين قلبين، بين قدرين. كان الأولى أن أغلق كل نوافذي منذ أن كتبت كتابي، لكن شعوراً خفيّاً كان يقول لي إن ذلك لم يكن سوى تجربة أردت خوضها بكل تفاصيلها. فتحت الإنترنت ثم قرأت رسالته مرة ثالثة ورابعة. حاولت أن أجد ردّاً لكني حينما لم أجد أغلقت جهازي وتمددت. كانت الساعة تشير إلى الواحدة ظهراً، وحين تفحصت جوالي وجدت أن المكالمة كانت الساعة التاسعة صباحاً، وكأني في حلم لم أشعر بالوقت معه. كان حديثه متدفقاً وكأنه أصاب قلبي. لم يكن يتحدث إلا عن الحياة، لذا آمنت بكل كلمة تفوه بها ووجدت صدى ذلك في تصرفاتي. علي أن أعيش الحياة كما أريد وليس كما يريد من حولي. العمر مرة واحدة وسأعيشه حسبما يمليه علي هوى نفسي وكما تمليه علي أفكاري. نظرت إلى الخاتم الذي توسط أحد أصابعي. كنت أشعر للمرة الأولى باختناقي منه، على رغم أني أهوى الألماس بشكل مجنون، لكن هذه المرة تغيرت مشاعري تجاهه. كنت أفكر لحظتها في التخلص من هذا الخاتم. كنت أريد حدثاً لأتخلص من مسمى قيد الرجل "خاتم الخطوبة" فمرة أضعه على رف كتبي، ومرة على طرف المغسلة، ومرة فوق طاولة المحمول حول سريري. لا أرى معنى لأن أحشره بإحدى أصابعي. وقعت على ملكيتي له. لم يكتفوا بموافقتي على مشاركته الحياة، بل كان لا بد أن أوقع على جملة ملكتك نفسي. لم أرتد الخاتم إلا في المرة الأولى حين

اغتصب إصبعي وحشره عنوة، بينما أنا أرسم ابتسامة صفراء والناس تصفق من حولي.

اليوم أضعت الخاتم. لم أبحث عنه حتى الآن في أي مكان. كنت أمام مطب حقيقي وعلي تجاوزه مهما كلفتني المواجهة من خسائر، فلم يكن من السهل أن أنتزع خاتماً من إصبعي وسط مجتمع يلبس عباءة التقاليد والأعراف كشريعة مقدسة توجب إقامة الحد على من يخالفه وكأنه اقترف خطيئة لا تغتفر. لم أفكر بكل الأمور التي ترتبط بعلاقتي مع المجتمع والناس ومحيط العائلة ككل، بل كان همي كيف أقنع عائلتي الصغيرة، من يجمعني بهم كيان واحد وبيت صغير. كنت مدركة أن هذا الأمر يتطلب مني جهداً مضاعفاً، وأنه قد يحدث لي هزة عنيفة، وأنه ربما أنكسر ويختل توازني ثم أفقد ثقتي بنفسي. لذا كان قراراً صعباً اتخاذه وتحمّل كل ما يترتب عليه من صراعات ومواجهات في سبيل تنفيذه.

فكرت في سبب حقيقي يقنع صالح الذي يرتب لأمور الزواج بأنه حدث ما يمنع هذا الارتباط، لكني لم أجد سبباً سوى أنه رجل تقليدي. هذا السبب لا يستوعب أهميته رجل كصالح، فكيف سيستوعب أهلي هذا التملص غير المبرر من وجهة نظرهم؟

بدون مقدمات أخبرت أمي بأني لا أريد أن أتزوج، وأنه ليس لصالح علاقة بأي شيء. الأمر يخصني وحدي، أنا غير صالحة للزواج



في هذه السن، وكل ما صادفني مع صالح كان نزوة عابرة تحققت أنها انتهت وخفت بريقها بمجرد انتهاء الحفلة. عادت مشاعري إلى سكينتها، ولا أريد أن أحشر نفسي في حياة رجل دون أن أكون على قدر كاف من النضج وتحمل المسؤولية. لم يكن من أمي إلا أن ناقشتني، لأنها وحدها تدرك طبيعتي وهذه المرحلة الحرجة من عمري، فقالت:

- كل ذلك أتفهمه جيداً، لكن والناس؟

اتسعت عيناي بذهول من سماع هذا الكلام من أمي، الحائزة على درجة الدكتوراه، التي ما زالت تتحدث بمنطقهم وعاداتهم وأعرافهم. لم يغيرها العلم ولا حتى الشهادات بل ظلت كعباءة الشريعة التي تخرج من الملة مَن يخالف قوانينها. قلت:

- أنا أو الناس؟

- كلام الناس ما يرحم. راح يتكلموا في سمعتك وأن صالح هو من تركك وستكون سيرتك على كل لسان لا يخاف الله.

شعرت بالضيق وأنا أدير وجهي إلى الجهة الأخرى:

- سأتزوج ولن أدع مجالاً لهم للحديث.

- ومن سيرتبط بك بعد طلاقك؟

شهقت وأنا أقترب من وجه أمي:

- أي طلاق؟

- سيطلقك صالح لينتهي العقد الذي بينكما.

شعرت وكأني هويت من أعلى وارتطمت بالأرض:

- طلاق، محكمة، والقصة لا تتعدى كونها خطوبة؟

- أنا وحدي من يعلم أنه لم يلمسك، لكن الناس ستؤلف ألف قصة عن خبر طلاقك، ولن يتقدم بعدها أي رجل لخطبتك.

- اللعنة على التقاليد والأعراف المتخلفة.

كنت أخبئ بكفيّ اللذين أضعهما في كل مواجهة مع أمي حول عيني حتى لا تبصر ومضة الحب التي خطفت أنفاسي. لم يكن لي أن أنسلخ من صالح بهذه السرعة لولا أن زلت قدمي بالحب. كنت أدرك خطيئتي ولعنة القدر التي نزلت بي حين فتحت نوافذي لرجل وأنا على ذمة رجل آخر. كان هناك من يلعنني بجوفي، ذلك الصوت الجهوري الذي تردد بأعماقي كل مرة يعتصرني فيها الحب، فينزل صوت ضميري كالسوط على روحي لدرجة أتمنى لو أنتهي من هذه الدنيا وأرحل إلى مكان لا يجلدني فيه ضمير. كنت أبكي بحرقة حتى لاحظت والدتي أمري. لم يكن الزواج هو ما يبكيني، كان إثم خطيئتي. كل مرة أختلي بنفسي وأجلدها حتى أخرج في نفس الليلة بقناعة أنه لا حب بهذا الوجود، فتستكين مشاعري لساعات بعدها، ثم أجد من يخيط فم ضميري ليشعل كل دواخلي بحبه. لم يكن سعد رجلاً



معسول الحديث، كان منطقيّاً جدّاً وواقعيّاً، لذا ولج بروحي وأفكاري دون أن يكون هناك سور بيننا. يعتني بأفكاري رغم اختلافه البسيط معي، لكنه يعرف الطريقة المثلى ليضعني في صف أفكاره دائماً. ذكراه ورم يتفشى من جسد ذاكرتي وأنا التي أمتلك كفّاً عملاقة تعانق وجه السماء ، أتلو صلواتي ألا أشفى منه بالوقت الذي يتضرع النسيان حتى يقتلعني منه ! لم يكن تقليديّاً أبداً ولم يفتح سيرة الحب ووعوده. كان يحكي عن حياة بكل تفاصيلها. وكنت أشعر بحبه لي من خلالها لكنه لم يقل ذلك صريحاً كما يحدث مع العشاق حين تكون كلمة واحدة هي دليل الحب في نظر أي علاقة تجمع حبيبين. كان وحده من أشعرني بتلك الكلمة حين يقول: أريدك نصيبي من هذه الدنيا وكفى. كان يشعرني أن ما يربطنا شيء فوق الحب، فوق كل عبارات العاشقين، وفوق كل قصص الغرام التي حدثت وتكررت في أزمان عديدة. وكنت أنظر لتفاصيله وأنا أردد: هذه الحياة التي أحلم بها وأستحق أن أعيشها. تحولت أيامي الروتينية إلى حياة متحركة بكل تفاصيلها. شعرت بالحياة وبتغير الأيام وتلونها بعد ما كانت في نظري لوناً واحداً. حتى بعد خطبتي لم أشعر بأي شيء تغير في حياتي. لكن بعد ما ولج الحب قلبي خفقت دقاته وصرت من حال إلى حال. كل يوم له تفاصيل مختلفة عن اليوم الذي قبله. تعلقت بمحادثته صباحاً حين تذهب والدتي إلى عملها. كنت مزدحمة بكل الأشياء من حولي، لكن ما أن أسمع صوته حتى يعيد ترتيب روحي ويحولني إلى

شيء جميل. لم أحلم يوماً أن أكون بهذا الجمال الروحي. لم أمنحه ذرة أمل في أن أكون له، لكني كنت أسير بخطوات ثابتة باتجاه قلبه دون أن يكون لديه علم بما أخطط له. كان يقول: حتى لو لم يجمعني بك نصيب تخلصي من ذلك الرجل بلا تردد.

كنت أتحرر من كل القيود، وأمارس حياتي كما أريد، وأتقمص شخصيات عدة أحلم باعتناق أفكارها يوماً، لكن تتجلى الصورة عندما أكون أنا فقط، بفكري وحرفي الأخرس.

لم يكن على كتاباتي وتوجهها الفكري أي رقيب أسري. كنت وحدي بعالم منعزل لا يشاركني به فرد من عائلتي. ولم يكن يوماً لأمي أن تقرأ أي شيء من كتاباتي. كنت أعي جيداً أني أحمل فكراً يفوق سنوات عمري التي ربطت بعقلي لتحجيم أفكاري، وتناسوا أن ذلك الحرف موهبة ربانية أجدت رسمها بإتقان وحرفنة. لكن السؤال الذي يتسع بي: لِم محتم علي أن أبدو أكبر من عمري، أكبر من مستوى عقلي؟ فأنا أتشكل في يديه لأكون بمستوى عقله، وإن نطقت بمستوى عقلي صب جام غضبه على قلبي وابتعد عني.

النهايات موجعة على كل حال، تفوح منها رائحة الخيبة والألم الذي لا يلتئم. أن تنمو بي وتتفرع، ذلك يعني أني وهبتك تذكرة سفر تسيح بجسدي مسافراً بلا عودة. فالقدر قد أسقطني بين قبلتين، بين قلبين، بين زمنين، وبالمنتصف باب واحد يفصلنا عن الالتقاء. كنت



أتصور أن تلك علاقة حب توشك أن تقف عند حد معين، ولم أدرك أنها تسير بي ومعي حيث أقف في وجه مجتمع بأكمله، ليكتمل وجه الحب الذي أسرني منذ تلويحة كفه، فكتبت له بعد ما شعرت أن لا قدر يجمعنا: (وجه الزمن حجر قاسٍ، وقلوبنا قطعة زجاج، والمشاعر كف انجرح دمه وسال!).

كان يجيد غلغلة حروفه بروحي حين يكتب إلي، فكم من الرسائل التي تضخم بها بريدي. أما أنا فكنت أجيد فن المراسلات لدرجة كنت أبيت النية لكتابة حكايتي معه في فصول رواية لم أقرر بشكل جدي كتابتها، لكن تنازعتني الأفكار، فيما لو حدث وكتبتها سأحشر مكاتيبنا المنسية في دولاب الرواية حتى لو لم يكن لوجودها معنى، فالحدث الذي أربك سير أيامي لم يكن شيئاً عاديّاً لأتجاوز تفاصيله. كنت مغرمة بكل حرف يعنونه في مقدمة الصفحة: إلى رغد.، ويكتفي باسمي دون أي مسمى أو صفة أخرى لهذا الاسم ونقطة في جانبه، وكنت أكتب إلى غرامي. لم يكن في أي من رسائلي إليه ذكر لاسمه. كنت أكتب في حالة من اللاوعي وكأني أحادث شخصية وهمية لم تخلق على هذا الواقع، وكان وحده من يتحدث بواقعية وكأنه يرى بعين الواقع ويضع مكاني ويحدد حدودي وتضاريسي في حياته. لم يتطرق في حديث يجمعنا إلى أن لديه أحلاماً لمستقبلنا، بل كان يتحدث عما سنفعله وكأنه يراه واقعاً بعينه وليس حتى يحين وقته. وكنت أختلف معه في هذه النقطة، إذ كل ما أحلم به سقف نتظلل

تحته برباط شرعي يضمن لي التنفس بشكل طبيعي معه. أغرمت به في ظرف زمني قصير. لم يمر على تعارفنا بشكل جدي أكثر من شهر، وكنت أتصور أن تلك نزوة جديدة ستنتهي، لكن وقتها طال. وكلما أصبحت فتشت في داخلي عن أي شيء تغير. كنت أريد لهذه النزوة أن تعبر بسلام دون أن تقتلع مني شيئاً. وكان وحده من اختلف عن كل نزواتي، حيث كان حديثه الأول حتى قبل أن يعرفني واقعاً: أريدك زوجة يا رغد، لتتشكل تفاصيله مع تفاصيلي وأندمج بقبيلة من الرجال تسكنه. كنت قبل هذه المرة قد أغرمت بأحمد، الذي أغاظني كثيراً وجود زوجته وأطفاله، وكم تمنيت لو انتزعته من حياتهم ليكون حياتي. لم أعرف الحب ولم أذق لوعته. كنت أتصور أن العلاقة التي جمعتني بأحمد علاقة حب من نوع فريد حيث بقيت سنتين معه بشكل يومي، في وقت لم يحدث لي أن بقيت كل هذه المدة مع رجل ومنحته من الأسرار والتفاصيل التي تخص حياتي الواقعية والافتراضية الشيء الكثير. كنت أتصور أن تلك العلاقة كفايتي من العالم فلم أبحث عن غيرها، على رغم أني التقيت بالعديد من الوجوه التي تبادلت معها الكلام المعسول دون أن يكون لذلك أثر روحي أو حتى ارتباط يومي. عرفت فيما بعد أن أحمد لم يكن سوى عادة ولم يكن حبه عبادة كما يحدث مع أموري التي تحولت إلى عادات لا يمكن الاستغناء عنها بسلسلة أيامي. حتى الحب الذي غزا قلبي لم يكن طعمه ولذته كما كان يحدث معي سابقاً بل كان على قدر الحب



والشوق ألم روحي لا تبرد نارها. وكلما تقدمت باتجاهه وجدت من العقبات ما يحول بيني وبينه، فكان الوجع ملازماً لدرجة الحب. كلما ارتفع بي حبه لسعني سوط الشوق ولهيبه. كنت في حالة من الضياع، أتوق إلى حضن أمي كلما ضقت من أمري، لكن الحدث أكبر من أن أندس بحضن أمي. لم يكن خلافاً مع صديقتي الحميمة، ولم يكن حرماناً من مادة معينة، ولم يكن حنيناً إلى جدتي التي انتقلت إلى رحمة الله. كان الأمر أكبر من أن أفتح خيطه الأول مع أحد من عائلتي، ولهذا بكيت دون أن يكون لدي سبب واحد أقنع به من حولي أن دموعي كانت بسبب هذا الأمر. تسارعت ضربات قلبي والعيون تحيطني من كل صوب. الكل ينتظر سبباً لبكائي المفاجئ، لكنني سرعان ما صعدت إلى غرفتي. كنت أحتاج في هذا الوقت الحرج إلى قلب الأخت الذي لم أجربه من قبل لكنه خطر على قلبي فبكيت حتى ذبل وجهي.

خرجت بسبب دموعي من مرحلة إلى مرحلة، وكأني إنسانة أخرى. قررت التوقف عن هذا العبث ومواصلة أيامي كما كانت. قلتها بيني وبين نفسي: ماذا أفعل بحياتي وأنا على ذمة رجل! ما هذا الضياع الذي وصلت إليه لمَ أقحمت نفسي بحكاية لا أملك وضع نهايتها كما يجب. أفكر: كيف أتوقف عن حبه فعلاً. لا أريد أكثر من التوقف في هذا الوقت الحرج؟ كيف أضع نقطة النهاية في آخر السطر وينتهي كل ما يجمعني به؟ كيف لكل تلك الأشياء التي تشعل بي حبه

أن تنتهي، أن تنتهي فقط ؟ القدر لم يمنحني من مراحل الحب سوى فورته ، حتى لم يتسن لي أن أصل به لمرحلة الغياب ثم الفراق ثم انقطاع العلاقة كأي علاقة حب تأخذ وقتها حتى تنتهي مع الزمن. كيف تحول حبي له إلى دورة تثقيفية في طريقة التعامل مع الرجل وكسب احترامه ثم تطبيق منهجه في اقتراني برجل آخر لا يشبهه؟ فتحت جهازي وكنت في لحظة ضياع لا أملك بوصلة تدلني على الطريق الصحيح. فتحت بريدي وكتبت:

- إليك قراري: كنت أسير بك إليه وكأنك تزفني من حياتك إلى حياته. كيف أتداخل بين قلبين وأنا لا أملك سوى مساحة صغيرة تتسع لقلب واحد فقط؟ كيف أتخلص من حبك لأفرغ مساحاتي لرجل يؤثث مشاعره ليسكن حياتي ويشاطرني تفاصيلها؟ كيف لرجل أن يكون بيني وبينك؟ أن يحتل بي ما وهبته لك في لحظة حب تجمعنا؟ كيف أكفر عن تلك الوعود التي قطعتها لك وأنا بحضرة رجل يجمعني به لقاء أول لتتكاتف علي كل ذكرياتي معك وتحرمني لذة النظر في عينيه؟ كل شيء قابل للمحو والنسيان، وحده حبي لك لا ينسى. كل شيء قابل للتكرار حتى هذه الرسالة، إلا علاقتي بك أجزم أنها لن تتكرر! فعلاً لا أريد شيئاً من هذه الدنيا غيرك، لكن في وضعنا وعاداتنا وتقاليدنا لا يمكن أن أكون لك حتى لو وقفت أمام أهلي، وهذا ما لا أريد أن أصل إليه في نهاية الأمر، لأنك



تدرك جيداً ما يعني الأهل لفتاة لم تتجاوز التاسعة عشرة من عمرها! فارفق بقلبي وارحل دون أن يكون لك أثر على روحي، وحتى لو حاولت الاتصال بك، أغلق كل نوافذك ودعني أواصل زفافي برجل يرضاه المجتمع ولا يرضيني.

بعد دقيقتين وصلني رد منه على بريدي:

- أنت جبانة جدّاً في مواجهة أعراف المجتمع وعاداته، لكني لن أرحل وقد تعلقت حياتي الآن بمصيرك.

- عاطفتي المتورمة بحبك تحتاج لحضن يضخ الحياة في شرايينها وما بين شفتي يتسع عن فراغ لا يملؤه سوى قنابل قبلاتك التي توجهت لقبلة النسيان من بعدك !

توسدت صدر أمي في محاولة مني أن أعود كما كنت. حتى قبل أن أتوسد ذراعه وأتعود على ممارسة طفولتي في حضنه، كل ما بي يحمل ملامحه، حتى ملابسي تحمل رائحته، أصابعي ما زالت تثير بداخلي رغبة في بترها والتخلص من ترسبات لعابه كلما لعقتها. عنقي، ووشمه الذي كلما اندثرت آثاره جددتها بندبة لا يقوى النسيان على طمسها حتى خطوط كفي التي قرأتها ذات ليلة لتخبرني عن مصيري معك:

- ستتوسدين ذراع رجل آخر في الأيام المقبلة من حياتك!

وفعلاً الآن أسير في مراسم الزواج برجل لم أحبه ولم أكن أفكر

بحياتي ومراحلها معه. كل ما كان يشغل بالي: هل سينجب لي هذا الحب؟ أريد الخلاص من كل شيء، والعودة كما كنت حتى قبل أن يكتب كتابي على صالح، لكن ما حدث أمر لا يمكن تغييره.

بكيت ليلة محادثته وتوجهت إلى جهازي. بحثت عن أحمد الذي يمتص كل اضطراباتي و أستشيره بكل شيء يحدث معي، فأخبرته بما سيحل بي ولم أكن أدرك أن تختصر علاقة امتدت بيننا لسنتين بجملة مختصرة:

- وفقك الله بحياتك!

وألف علامة استفهام تنبت برأسي كالنخلة. وماذا؟ ثم يقول: قدرنا أن نفترق هكذا

أصرخ بوجهه: أحمد سأموت !

- إذاً اتركي كلا الرجلين وعودي لحضن أمك .

كيف ؟

- يا حمقاء أنت غير مؤهلة للزواج بهذا العمر ما تصنعين الآن بعمرك جرم لا يغتفر بعد عشر سنوات قادمة وتذكري كلامي.

كان يبكيني أحمد بكل تصرف يواجهني به وكأن ما بيننا شيء لا يستحق الذكر فعلاقتنا أكبر من محادثة عابرة أو زمالة في منتدى



ما، كان لي كل شيء كل شيء في هذا العالم الافتراضي ولولا طفلتاه لأرغمته على شكل علاقة أخرى يكون نصيبي فيها أكبر من مساحة افتراضية !

عدت للمنتدى من جديد وكتبت: أحتاجك هذا الوقت أكثر من أي وقت مضى ، فعاد سريعاً ورتل هذا الحزن حتى هدهد قلبي بين يديه .

قدري أن أزف من يد رجل إلى يد رجل آخر، دون وقت استجمام يفصل بين علاقتين، بين قلبين، بين قدرين، بين رجلين، رجل أحببته كفارس أحلامي الذي اقترنت بملامحه، ورجل رسم من ملامحي تفاصيل أطفاله وحياته لكني متيقنة أنه ما أن يلمسني ويودع نطفته بي حتى يشغل كل ما علق بي.

سافر أحمد في الصباح لمكة ، فطرقت باب صديقي بدر، لأجده يقفل نافذته في وجهي على خلفية موضوعي الذي كتبته في المنتدى باسم "الفتاة السيئة" وتحدثت فيه عن تفاصيل الرجل الذي اقتحم قلبي وأنا على ذمة رجل آخر. وجدت تبايناً في الردود، قليلون جدّاً من تعاطفوا معي ونظروا إلى حيرتي وضياعي في اتخاذ قرار مصيري كهذا. كنت قد عرضت الموضوع لأرى وجهات النظر، وأقيس مدى تقبل المجتمع لفكرة الزواج من رجل عبر الإنترنت، فوجدت الكل ينفس عن عقده، واتضح لي أن الأغلبية العظمى ممن يستخدم

الإنترنت لا يحترمون ما يُكتب فيه بشفافية وصدق!

حقدت وقتها على بدر الذي فجعت بردة فعله ، كنت أتصور أنه رجل ملائكي فلم أشعر للحظة بملامح شهوته كرجل تجمعني به صداقة عميقة منذ أكثر من سنة

كنت خلال تلك الأيام أتغنج لدرجة أحاول أن أكسر هذا الحاجز الذي يفصله عن مغازلتي فأتعمد وقتها طرق أبوابه لأثير بداخله أي شهوة للحديث معي في تفاصيله ، لكن كل محاولاتي لم تنتج عن أي شيء سوى علاقة ملائكية أشك فيها برجولته فما كان مني إلا أن أختبر ذلك بنفسي ، كنت مجنونة ولدي خطط شيطانية للإيقاع بأي رجل وكان بدر ينظر لي كطفلة بريئة لا يريد خدش عواطفي بأي كلمة تكون جديدة بقاموسي المعرفي فتوجهت لعمل حساب بريدي آخر أخفي به الكثير من تفاصيلي وظهرت ببريده بطريقة لا يعلم من أين أتيت تعارفنا ليلتها منحته رقماً أكبر من عمري وسهرنا ليلتها بشكل لم أتخيله من قبل تبادلنا المقاطع والأغنيات والأحاديث المعسولة عرفت فيما بعد أنه ينظر لي كما ينظر لريما أخته الصغيرة أو كما يسميها دوماً طفلته . فلم أكن وقتها بحاجة للاعتراف أمامه بهويتي بل ظلت صداقتي معه بشكلها البريء كما اختارها ، وظلت علاقتي الحميمة تحت الظل بهوية مجهولة لديه .

والآن بعد عام ونصف العام ظهرت غيرته من علاقتي بسعد،



وشتمني كما لم يشتمني من قبل ، لدرجة أقسم في نص عيني أن كل ما تحدثت به بذلك الموضوع هراء هراء ، كنت أعذره وقتها ما كان يجب أن يكون آخر من يعلم بخبر كهذا لكنها جرت الأيام على مفاجأتي بهذا الشكل غير المخطط له .

كان لا بد أن نقلد أفكارنا أسماء مستعارة حتى لا تلمحنا عين الرقيب فيما لو حدث وكتبنا باسم صريح. إنه الخوف من المجتمع و ما تمليه علينا التقاليد والأعراف، ولهذا أجد الكثير من صديقاتي الافتراضيات حذرات جدّاً في التعامل مع أي شخص افتراضي، لدرجة تعرفت على صديقات كنت أنا من يبادر بالتعرف عليهن ودخول حياتهن الواقعية بكثير من تفاصيلي. كانت بعضهن تمنحني اسماً مستعاراً حتى بعد التوثق من هويتي. إنه شبح الخوف حين يسيطر على أغلب من يكتب خلف قناع. مرة أعطيت رقمي صديقة إماراتية تكتب باسم مستعار، وكانت تهددني فيما لو حدث واكتشفت أنني رجل. الحق أن الخوف كان متبادلاً بيننا ولكني كنت أجيد التستر على كل مخاوفي. رحبت بي الصديقة دون أن تجد في نفسها الحاجة لتدلي باسمها الصريح. قبلت بالطريقة التي قدمت بها نفسها، فللمجتمع الذي نسكنه أثر كبير على ملامحنا وتفاصيلنا، وحتى على الطريقة التي نقابل بها الجنس الآخر، ولذا كنت أحاول أن أشق عن تقاليدهم وعاداتهم، ومن ذلك خوضي في المحظور من الأحاديث. كنت أعطي

انطباعاً عن الفتاة المتحررة بأفكارها حتى لم يكن في تعاملي أدنى اهتمام بسياسة العيب والتقاليد، وكونت صورة جريئة لحرفي وكتاباتي وأفكاري. في أحد موضوعاتي كان هناك رد تقليدي من امرأة باسم مستعار يقول: عيب يا بنتي عيب. كان تعليقاً على إحدى كتاباتي المتقدة الشهوة والتي كنت أتعمدها في أفكاري التي أخلقها دون أدنى إحساس بالعيب الذي زرع فينا منذ تنشئتنا الأولى حيث كتبت : (الجنس ملعون وأنا امرأة أقدر جسدي كثيراً ولا رغبة لي في بيعه تحت أي شرعية كانت !لذا انزع شهوتك حين مضاجعة أفكاري فليس سهلاً أن أنجب للشارع من بعدي أفكاراً بلا قضية)!. كنت أكتب بسعير الشهوة التي لم أتعرف عليها بشكل واقعي، بل كان كل ما يحدث هو خيال مراهقة تجيد خلق أدوار البطولة لشخصيات وهمية متقدة الشهوة.

لا أعرف من الجنس إلا اسمه، ولم يكن لي تجارب أو حتى خبرات. ولجت هذا العالم وأنا أحاول أن أنزع عباءة العيب التي يديننا به مجتمع لا يقبل بغير تقاليده، وكنت أريد طريقة حياة مختلفة تماماً عما هو مألوف بالمجتمعات التي توارثت عاداتها وأعرافها من تقاليد جاهلية بحتة أبعد ما تكون عن الشريعة. كان آخر النقاشات التي توصلت لها مع صديقة واقعية لا تعرف من الإنترنت سوى اسمه أنها أحضرت لي فتوى بتحريم الكتابة في المنتديات بحجة أن ذلك يدخل في إطار المغازلة التي حرمها أحد المشايخ في برنامج تلفزيوني. لم يقبل



عقلي حديثها، ولم ألق بالاً لأي فتوى، كنت أستشير قلبي وأنا مؤمنة أن ذلك لا يعد جرماً يستوجب العقوبة.

أنا أكتب كما أحدث نفسي، ما أكتبه حديث نفس وكما تخيله عقلي تماماً ولم يكن واقعاً أقترف إثمه. كنت في تضارب رهيب مع أفكاري، وكان كلما استجد شيء في حياتي علا صوت ضميري يوبخني. أمرض لا شعوريّاً من صوت الضمير الذي يزلزل أركاني كلما تذكرت القبر ووحشته والعقاب والجنة والنار وفيما سيؤول إليه مصيري ومع من أحشر في نهاية الأمر. حينها يرتفع صوتي عالياً: اللهم أحسن خاتمتي في الأمور كلها.

كنت قد توصلت إلى قرار بعد تلك الأحداث، وهو أنه لا يمكنني التواصل مع سعد في ظل تلك الأمور التي لم تحسم بعد، فما زال صالح يؤثث بيت الزوجية في انتظار اليوم الذي يجمعني به، بعدما كتبت كتابي ولم تكن أي بوادر رفض أو حتى احتجاج من طرفي. توجهت إلى غرفتي وفتحت جهازي وبعثت برسالة بريدية لسعد لم أعنونها بغرامي هذه المرة، بل كان الأمر جادّاً حتى في طريقة اتخاذ القرار:

- لا بد أن نتوقف. فقط أحتاج شهرين حتى أقرر مصيري، ومهما يكن هذا القرار، ثق أنك ستكون أول من يعلم به.

اختليت بنفسي، ولأول مرة لم يكن لصوته أي أثر على يومي. شعرت بالضيق لثلاثة أيام، وبحنين إلى سماع صوته أو حتى رسالة

طويلة أعيد قراءتها ألف مرة، لكنه لأول مرة يمنحني الوقت الذي طلبته دون أن يكون له تقاطع إلا بذاكرتي. كان وقتها الخامس من رمضان، ومن هذا اليوم بدأت صيامي بعد عذر شرعي حرمني لذة استقبال اليوم الأول من رمضان. كنت كلما طرقت بالي الأفكار واشتعل الحنين بجوفي حدثت صديقتي سوما عن ذلك اللهيب الذي يحرمني لذة نومي.

أريد الزواج من سعد وبشدة، ودون أن أمر بمراحل صعبة وحرجة. أريد أن أغمض عينيّ ويمضي كل شيء بسلام دون صدام مع أهلي ولا خطيبي و لا مع أهله ولا مع مجتمعي الصغير. أريد من يتكفل بكل المهام الملقاة على عاتقي ويحدق في وجه أمي ويحكي لها عن كل ما حدث لي وما سيحدث لو وقفت في طريقي. أريد من يعزلني عن عين والدي الذي لم يغب عن بالي. كلما تقدمت خطوة نحو فسخ خطوبتي لمعت عينه في عيني وتراجعت. أريد من يسكن عقلي ويسيرني وفق المنطق وعين الصواب. لا أريد أن أجازف بتجربتي الأولى وأزج بنفسي في بحر الحياة وأنا لم أتعلم السباحة بعد. أريد قفزة بساقين طويلتين تنقلني من هنا إليه دون مراحل الوجع التي لا أعلم كم تستغرق من وقتي وكم تستهلك من صحتي.

انتزعت كل مخاوفي، ولأول مرة اتصلت بخطيبي بعدما اتخذت قراراً نهائيّاً بفسخ الخطوبة. كان صوته بعيداً جدّاً وهو يحاول أن يكون على طبيعته معي. قلت بلا تردد:



- صالح أريد إخبارك بأمر ضروري.

- ماذا حدث ؟

- أنا أكتب في منتدى جسد الثقافة تحت اسم فاء .

- دقائق ثم قال : هذه فتاة منحلة و ليست أنت

- منحلة ؟ أريد أن أنهي المكالمة الآن .

- لن تقفلي الخط يا رغد قبل أن أعرف من تلك الفتاة .

- هذه أنا يا صالح وسأكتب الآن ردّاً حتى أثبت لك أنها أنا .

- كتبت في موضوع (أنا لا أريدك ،أخبرتك بذلك حتى أرى مدى تقبلك لفكري وأيضاً لا أريد أن أسكن في مدينة بعيدة عن أهلي، وإذا تزوجت أريد أن أتزوج رجلاً من نفس مدينتي.)

فرد هذا السبب فقط

- وأنت أيضاً لا تناسبني!

- لم تقنعني أسبابك بعد، وأمر المنتدى وكتاباتك ستتغير فيما بعد وأعتقد أننا اتفقنا على مكان السكن من قبل، وقت الدراسة تكونين عند أهلك والإجازات نقضيها عند أهلي حتى تنتهي من الجامعة ثم ننتقل كليّاً إلى مدينتي.

- أرجوك يا صالح، أريد الخلاص من الزواج.

- هل دخل بيننا رجل آخر؟

صمتّ طويلاً ولم أستطع أن أنفي ذلك.

- ردي يا رغد.

- ماذا تعني برجل آخر؟

- رجل في بالك قبل خطبتي لك؟

- لم يكن قبلك أحد يا ...

- وبعدي؟

- لم أنته منك بعد لأفكر برجل آخر.

- فكري إذاً بالأمر، وكل ما ستطلبينه مستقبلاً سأوافق عليه، لا تهدمي ما بيننا لشيء لا أساس له، أنت خائفة فقط لأنه اقترب موعد الزواج، لكن لا تخشي شيئاً، سأسعدك حقيقة يا رغد على رغم أني لا أملك سوى راتبي، لكني سأحاول ألا أجعلك تشعرين بالفرق بين حياتك عند أهلك وحياتك معي. فقط فكري بالليلة التي أنتظرها طويلاً.

شعرت بالذنب حقيقة. كم أبدو حقيرة وأنا أهدم حياة رجل لا ذنب له سوى أنه اختارني زوجة!

الحياة صعبة جدّاً بقراراتها المصيرية، كيف لي أن أعيشها وأنا بهذا القلب؟ أشعر أني وضيعة بلا مبادئ ولا قيم إنسانية. كيف لي أن أقتحم حياته بهذا الشكل وأعبث بأحلامه وأبدد أمواله كما لو كنت



سفيهاً لا يعي شيئاً ؟ كيف لي أن أستمر في خيانته ومواصلة المسرحية دون أن يرف لي جفن ؟

كتبت في مذكرتي ذلك اليوم:

"صالح صفحة وانتهت من حياتي، فهو لا يستحق أن أعبث به كل هذا الوقت فلا بد من أن أنتهي منه ليجد في الجهة الأخرى امرأة تستحقه أكثر مني."

علقت المذكرة على حائطي الصغير الذي خصصت فيه مربعاً يضم حالات مزاجي وما أتوصل إليه من قرارات تخص يومي. في اليوم الثاني وجدت تلك المذكرة بيد أمي وهي تواجهني بما فيها:

- هذا قرارك النهائي؟
- حادثت صالح بالأمر.
- وماذا قال؟
- طلب مني التفكير قبل أن أتخذ هذا القرار.

مر أسبوع أول لم أغادر فيه غرفتي، عملت بريداً جديداً وانتحلت شخصية رجل وكتبت رسالة إلى صالح .. أخبره أني على علاقة حب مع خطيبته رغد ، وأن الخطوبة هي ما يعزل أحدنا عن الآخر وأريده أن يبتعد عنها ليرحم قلبين تعذبا من الفراق . علمت فيما بعد بمرض صالح من أخته التي حاولت الاتصال بي مرات عدة لكنني كنت قد

اتخذت قراراً لا رجعة فيه، إلى أن وجدت رسالة منها تخبرني أنه مريض لا يغادر السرير أبداً، وأنه لم يتمكن من الصوم منذ ثلاثة أيام. تنفست بعمق، لم يكن لي الاتصال به بعد ما اتخذت قراري النهائي، فكل ما سيحدث الآن مجرد بارقة أمل لصالح. لا يمكن لي أن ألوح بسمائه وأنا وحدي أدرك أن تلك خدعة جديدة أسليه بها ثم أصدمه بالواقع المصيري لعلاقتنا. اتصلت بأخته لأطمئن عليه فقالت:

- كلميه يا رغد.

- أنا سبب مرضه ولا أريد أن أزيد عليه.

- ماذا؟

- ألم يخبرك شيئاً؟

- لا، ماذا حدث بينكما؟

- لا شيء.

أقفلت السماعة وضربات قلبي تتسارع. مر أسبوع كامل ولم يخبر أحداً بقراري. شعرت بالضياع والتردد وقتها، هل أمضي في قراري أم أعود له؟ تذكرت سعد ، ولم يكن له أن يحضر الآن بعد انقطاع التواصل فيما بينا، لكني لا شعوريّاً فتحت جهازي وبحثت عن رسائله. وقفت طويلاً أتأمل حروفه. بكيت وأنا أحدد كل الرسائل وأضغط على زر "ديليت" بطريقة سريعة دون أن أفتح عيني. كنت أريد انتزاع آثاره من كل شيء حولي. مسحت رقمه، ورسائله، وكل



شيء يذكرني به. أردت أن أغيب عن ذاكرتي لحظة فقط، لحظة زمنية أعيد فيها الحياة من جديد لقلب صالح. لم يكن في قلبي شيء حينها سوى أن أعيد الأمور كما كانت، فرجل كصالح لا يستحق مني هذا الألم وهو الذي استدان قرضاً على راتبه الوظيفي من أجل تكاليف الزواج، وحتى لو أعدت إليه مهره فلن يغير من الأقساط الشهرية التي تأخذ نصف راتبه لمدة خمس سنوات قادمة. لم يكن لي أن أخذله في هذا الوقت الحرج بعد ما أثث لي شقة صغيرة في مدينته واستأجر في مدينتي شقة مؤقتة ليتم زفافي بها. بكيت بشدة وأنا أنتزع من روحي حبّاً لم يكتمل لسعد، وأهيئ قلبي لرجل سيكون أباً جيداً لأطفالي. تمددت على سريري وأنا أحاول جاهدة أن أتصل بصالح وأمتص مرضه بخبر عودتي له الذي سيعيد لقلبه الحياة من جديد، لكني هلكت من البكاء لدرجة لم أشعر بنفسي إلا في اليوم الثاني حين أفقت منهكة لا أعرف شيئاً عن مصيري.

وجدت مكالمة مستغربة في وقتها من سعد. مسحت آخر المكالمات التي لم يرد عليها، وكأنه يشعر بقراري الذي اتخذته في لحظة ضعف، تجاهلت الإحساس الذي تملك قلبي لحظتها، وكتبت مذكرة تقول:

- " سأكون زوجة جيدة لك. أعدك بذلك يا صالح."

لم أعلقها على الحائط، بل تركتها بين أوراقي ونهضت من سريري.

سيرني القدر لرفقة رجل مدى الحياة في وقت يسكنني فيه رجل آخر. سأنجب له في قادم الأيام قبيلة من الرجال أرى في تفاصيلهم ملامح حبيبي التي تحضرني وأنا بين يديه. ستحضر ولادتهم أختي، أختي التي في السماء، وستتكفل بتسميتهم كما كنت أتكفل بتسمية أطفال أمي في كل مرة أنتظر فيها ولادة أختي، فتشير أمي بيدها إلى السماء. ما زالت هناك تسمعك وأنا أرفع بصري للسماء متسائلة: متى ستأتي؟ ستكون حياتي صورة طبق الأصل عن حياة أمي وأولادها، لكن لن أنجبني مرة أخرى!

أدرك جيداً أنه ما أن أمضي إليه بجسدي حتى تنقطع كل صلتي بما قبله، لكن الذاكرة لا تنسى حتى لو حاولت ثقبها وسربته. فكل ما مضى بي أجيد التستر عليه، حتى لو نظر في وسط عيني لن يرى سوى صورة أطفاله حين يقذف بي بذرته، ليعشب رحمي وينجبهم كما حلمت بهم معه. لا أحد يلتحف الرصيف وطناً، جميعهم عابرون، حتى هذا الحب الذي ناضلت من أجله غادر الرصيف بلا أثر، فتحققت أن الحياة فستان أخضر لا يزهر كما نريد. كنت أسير إليه بيد وبيدي الأخرى ذكريات رجل لم يمض بعد. ستعشب ذاكرتي به كما في فصل الربيع، وسأواريه عن أطفالي حتى لا يعبثوا بمساحاته الخضراء، فكل الأشياء الجميلة تحدث وجعاً حين نهايتها. كان الكثير من الأشياء بحاجة إلى الترتيب: باب دولابي المخلوع، كنزاتي الصوفية المتراكمة، شاشة هاتفي المتهشمة، قلادتي التي انفرطت ولم أنظمها،



حبيب بغير مقاسي، وجه أختي، فستان أمي الأبيض، رجل آخر ينمو بي حتى ترهل جلدي، وأنا مترددة في القرارات المصيرية.

في كل مرة يغيب أتفقد جسدي فأجد خطوط شفتيه في كل جزء من مساحاتي المتوارية. تبّاً لشفتيه، لم تتركا أمامي أي محاولة لنسيانه حتى بعد أن قررت مصيري مع رجل غيره.

نزلت إلى الصالة، حيث وجدت أمي وبيدها كرت صغير لتبادرني:

- عدت للكرت من جديد يا رغد، ولكن بمسمى مطلقة!

صعقت وشل تفكيري. لم يكن له أن ينهي عقدنا بهذه السرعة. أنا اخترته للمرة الثانية. لم يكن له أن يتخلى عني. ذهلت أمي من ردة فعلي وهي التي تعلم جيداً أن هذا القرار كان قراري من قبل، لكنها بكت بنحيب معي، لم يكن لي أن أفسر سببه، لكن أسبابي يقيناً تختلف عن أسباب أمي التي تحاول أن تمتص وجعي فيخذلها قلبها الموجوع لمصيري.

تهافتت النساء من جديد على بيتنا، وفررت من غرفتي ومن كل الوجوه التي تفرض علي مقابلتها وقضيت كل وقتي من بعد العشاء حتى الثانية صباحاً خارج البيت وحدي وأحياناً برفقة صديقتي مها. أفلت مني الشهر بحيث لم أكن أنا التي أستقبل رمضان بهذه الظروف. كنت منشغلة كل وقتي بحيث لم أدع مجالاً

للعودة لسعد الذي حاولت اقتلاعه مني في الوقت الذي اقتلعني فيه صالح من حياته.

بكيت لأول مرة على صالح. شعرت أنه فصل من حياتي، ارتحل رغماً عني، فلم يكن للقدر أن ينتظر تعديل قراراتي. أصبح طلاقي من صالح خبراً كسر ظهري بحيث لم أستطع بعدها مواجهة الحياة من جديد. ظللت بعد هذا الخبر مكسورة بشكل لم أتصوره من قبل، حتى الضحكة لم ترتسم على وجهي ولم يطرق الفرح قلبي، وكلما تذكرت ذلك بكيت حتى ذبل وجهي. كم هو مؤلم خبر الطلاق حتى لو لم يلمسك أحد. لم أفكر بشيء حينها سوى حال صالح، كيف سيكون يا ترى؟

كلما وعيت على هذه الدنيا لعنت مشاعري التي لم تجد من يحتويها. لعنت تفاصيل حياتي ولعنت الرقم واحد الذي يسير حياتي بكل خطواتي من بداية يومي حتى ينتهي. علي أن أسير في حياتي وحيدة وسط صبيان يمارسون الحياة كيد واحدة وأنا الكف اليتيمة التي لم يصافحها أحد. سئمت حياة ممتدة بيني وبينهم دون أن يكون بغرفتي شريك آخر أطلق تجاهه بكل عنفوان مشاعري. هذه أختي قطعة مني. لعنت رحم أمي الذي لم ينجب أختاً لي في لحظة احتياج رهيبة.

هذا الوقت صعب جدّاً على قلبي. يا الله يا ألله يا ألله.. اغفر لي كل لعناتي في لحظة انشطار قلب. احتجت لأخت من رحم أمي الذي



لم ينجب بنتاً غيري فتوالت اللعنات على لساني! اتسعت بسؤال بعدما ذرفت الدموع طيلة ليلي. ماذا تصنع الأمهات أمام أمنيتي؟

لم أمر بتلك المرحلة من قبل، فلم يكن من طباعي أن أطلب شيئاً في يد غيري، ولم يكن لي أن أعترض على ما قسمه الله لي، لكني حقّاً أردت أختاً ذلك الوقت كما لو كنت أجزم بحقيقة وجودها وأنها بعد كل هذا التعب ستطرق باب غرفتي وتأخذني إلى حضنها!

فتحت صفحة وكتبت:

- "لأختي الغيمة التي لم تنجبها السماء بعد، كل مرة أتخيلك كما كنت أتخيل وجه طفلتي التي لم أنجب: أي وجه تحملين؟ تفاصيل الصباح بملامح أبي أم التعرجات الحادة بملامح أمي؟ ضجيج الحياة بصدر أبي أم قسوة الصمت بحضن أمي؟ نظرت بوجهي للسماء، يا رب هب لي أختاً من أي رحم تشاء حتى لو كانت من رحمي، لتلم هذا التعب وتحمل وجهي بين كفيها.

تنفست بعمق وأنا أمسح آخر دمعاتي التي تدحرجت على خدي وأكملت:

- "أرثيك يا أختي هذا الصباح، فلا تتعجبي، الحنين لأشياء لم تخلق يصلب قلبي، وأنا التي خلقت من دونك، وكأني شهدت يوم ولادتك وتفاصيل نموك ومعارك يومياتي معك، وكأني بالأمس فقط صعقت بموتك فحين تغادرني أيامي أشعر أنها

تذهب إليك بكل مرة. أفتقد سنوات طفولتي التي عشتها من دونك وأتطلع اليوم إلى فستان زفافي الذي سأرتديه عما قريب دون أن تكون ليديك الترتيبات الأخيرة في ضبط مقاساته على انحدارات جسدي!"

حين أغادر حدودك بقرار مني تيقن حينها أن عودتي قريبة جدّاً وأن هذا الفصل الخارج عن السيناريو لم يكن سوى محاولة لاقتلاع جذورك من عمقي، محاولة أخرى أتشبث بها أمام حبك الذي يتجاوز كل أسواري الشاهقة، لكنني لم أستطع أمام توسلات أمي إلا أن ألبس خاتم ذلك الرجل الذي يطوقني كلما تذكرت قصتي معك، وكيف ستبدأ خلال الأيام المقبلة قصتي مع لقب مطلقة! ستكون أختي بالسماء كما أتخيلها دائماً وتملي علي ما يتوجب علي عمله في كل مرة ينفرط بها عقلي أمام شهوات قلبي. ستكون أمنيتي العالقة ما بين السماء والأرض أن أتخطى حبه الذي يعزلني عني كما كنت أتخطى الحياة معه. هذا الصباح يلسعني بذكرياته كما كان لسانه في كل ليلة يحاول ولادتي فتبرد أطراف لذتي ولا أنجبني له. قررت وقتها أن أكتب فقط، أكتب لأتخلص من هذا الوجع بارتكاب إثم الكتابة إليه، فكل ثروتي حروف لا رجل يغسلني كما تفعل حروفي. فقدت طعم الأشياء من حولي حتى حضنه لم يعد مُغرياً لإنجاب قصيدة. وضعت لما كتبت عنواناً أوليّاً "ما بين قدرين."

لا تتعجب لو أنجبت أطفالي من صفحة كفك لأنها تمنحني أحياناً



ما تعجز شفتاك عن منحه، فأنا أكره أن أكون أمراً وسطاً، بين حياتين، بين موتين. إما أن تكون لي حياة تتلبس قدميّ بالطول والعرض كغطاء يستر جوارحي وتفاصيلي التي تبدو للمارين بعري استعراضية تؤدي دورها أمام جمهور لا يعرف ماذا يدور بجوفها، وإما أن أكون لك. موت، موت، موت ونهاية حتمية لحياة كادت أن تحيا بي كمرض أبدي لا يرجى شفاؤه.

توقفت للحظات. عدلت العنوان إلى "ما بين رجلين" ثم أكملت. في لحظة قراءة أتسمر أمام فمك تلوك الحروف بخفة. أتوسل شفتيك قبلة، تقلب الصفحة وتمضي وعيناك ترمقانني بابتسامة شبقة. كنت أدرك لو أنك منحتني الوقت الذي تعانق به ذلك الكتاب، لأنجبتك كما تفعل الأمهات عادة. فلا نافذة متاحة تجمعنا سوى هذه النافذة اليتيمة التي تغيب عصافيرها طويلاً ثم تعود محملة بالأشياء الثمينة. دعها تتسع أكثر لأني أختنق من الأماكن الضيقة والمهجورة. فتحت مواقعي المفضلة وتركت صفحة الوورد على حالها، فكلما طرأ على بالي سطر كتبته دون أن أهتم بترابط الأفكار بعضها مع بعض.

أفتقد أحمد كثيراً، وكنت أتمنى لو أصادفه في هذا الوقت، لأن جدول يومي يختلف عن أيامه، ولم يجمعني به لقاء لأكثر من أسبوعين. كان يتحدث معي الكثير من الأصدقاء بالفيسبوك، وكنت لا أعير أحداً منهم اهتماماً، لدرجة أن شطبني أكثرهم لتجاهلي الرد عليهم حين يلقون السلام كل مرة يجدون فيها اسمي متاحاً في نافذة

الدردشة الصغيرة. تحولت فعلاً إنسانة أخرى، حتى طريقة تعاملي تغيرت. أصبحت أتفنن بشتم أحدهم حتى لو لم يفعل بي ما يستحق هذه المعاملة، وكنت أفرغ كل غضبي وما بي من شحنات عاطفية أفقدتني التركيز بحياتي. أفتقد وجود صالح رغم أنه لم يكن له حضور كبير بحياتي. بحثت عن ألبومات الصور وأوصلت الكاميرا بالتلفاز بعدما أغلقت غرفتي لأتابع حفل خطوبتي ربما للمرة الرابعة دون أن أشعر. أتابع ذلك التسجيل الذي التقط مرحلة مهمة من حياتي كنت سأحتفظ بها في ذاكرتي العمر كله. لم يكن مرور صالح عابراً أبداً، بل شعرت بقيمته الحقيقية حين فقدته. بكيت حين أتت لقطات المسيرة وسمعت الموسيقى التركية، بكيت بحرقة شعرت معها أني ظلمت بكل ما حدث معي، فلم يكن لي وأنا بهذا العمر أن أقرر حياتي. كيف تركوا مصيراً كهذا بيد فتاة لا تتجاوز التاسعة عشرة من عمرها؟ دسست رأسي في سريري في محاولة للهرب من كل الذكريات التي تكالبت فوق رأسي، ونمت كما لو أني لم أنم من قبل.

في الصباح وجدت اتصالاً من سعد فأغمضت عيني وكأني لم ألمح اتصاله. بعد دقائق بعثت له رسالة قصيرة كتبت فيها:

- «كل شيء أهبك إياه إلا خطوط كفي، لا أريد رجلاً آخر يقرأ مصيري معه والساعة التي نفترق بها».

فرد سريعاً لتستمر الرسائل النصية بيننا :



- "لا أومن بقراءة الكف."

- "متيقنة جدّاً أنني سأنزوي نهاية المطاف تحت جناح الرجل الذي تزوجني حتى لو عاد الحب الذي يلوي عنقي."

- "لا يمكن لك أن تتورطي برجل لا تحبينه، قرري الآن يا رغد، لا أحتمل أن يُلعب بي."

- "كل ما أريده الآن حتى أمضي إلى بيتي هو أن أتحرر من عباءة الرجل الذي يعشقني."

- "ما زلت طفلة، متى تكبرين يا رغد وتنظرين للأمر بجدية كما أنظر لها على الأقل؟ كل ما أطلبه الآن في هذه التجربة أن أشعر بحقيقة الأشياء معك، قبل أن أتورط بك!"

- "أريد أن أشعر بفرحة فوزي بك كما تفعل الأمهات عادة حين يزوجن بناتهن لا كما تفعل بكل مرة حين تشعرني أنك وحدك من فزت بي."

- "آه لو أسكن المساحة الصغيرة ما بين عينيك وشفتيك، لا أريد أكثر من ذلك ليلة واحدة فقط."

- "أريد من يعبر بي للضفة الأخرى، يحملني كلي ويلقيني على صدره!"

- "فمك مدينة تنشب بها حرائق من اللذة التي لا يرمد سعيرها،

عينك سماء تحلق بي عارياً من كل شهواتي الموقوتة، خدك وطن يجمع أطرافي وأنكمش في مساحاته، وجهك لو مر بي في طريق عابر لن أتعفف عن الانغماس به حتى يقذفني للضياع."

- "في غيابك كل ما حولي يضرم النار في عواطفي، ذكرياتك، رسائلك، عطرك، وحتى الصور المركونة على جداري المنسي منذ زمن، كنت أشتعل وأتستر عن كل العيون التي تتصيد لهفتي عليك، وحدها شفتاك ما يزرع بي سنابل قمح تنحني لرجولتك."

فتحت صفحة الوورد ورحت أكتب بكل اندفاع: تتعاظم الكلمات بداخلي ، أول ما فتحت عينيّ كنت أريد أن أفرغ ما بداخلي ، صدقاً لا أعلم من أي حلم جمعتها أو من أي شخص استلهمتها فقط أحسست بحاجتي لأن أكتب شيئاً، أي شيء ، لا فكرة، ولا هدف معيناً أطرقه إنما نزعات تعتريني أشعر أنها لا تنفك مني إلا حينما أرديها صريعة على صدر الورق أو بمفكرة هاتفي ، أشعر بتدفق مشاعري ، وأنني بحاجة لممارسات كثيرة ، حضن ، لمسة، قبلة ، أي شيء يطفئ هذا الفيض من المشاعر ، نزلت للصالة، وجدت خالتي وابنتها ذات الستة الأشهر أكلتها قطعة قطعة، كانت لذيذة بخديها وشفتيها التهمتها حتى صرخت باكية ، عدت لغرفتي ، وأفرغت كل مشاعري على ورقة مركونة قرب



الهاتف ، كتبت كل شيء وحينما انتهيت مزقت الورقة وتمددت على سريري .! لم يكن يوماً من ضمن اهتماماتي نظرة الرجل للمرأة، ولم أفكر بما يدور بعقل أي رجل يمر بي ، كنت أستطرد بتواصلي مع أي شخص للأمور الأخرى دائماً ، كطقوس متقاربة، اهتمامات مشتركة ، وصفات مكتسبة ، وكصداقة وود لا أكثر ، لم أدرك أن تلك الشخصيات تحمل عفناً بعقولها ، ونظرة دونية معقدة، للمرأة بكافة أفكارها ، كان اليوم مثيراً بحق ، لأعرف الكثير من تلك العقول ، وتلك الأفكار التقليدية التي تمارس المثاليات المزيفة ، من أنت وما تحمل من فكر ؟ ، وإلى ماذا تريد أن تصل ؟ ومن يقف بجانبك ومن يقف أمامك ومن يواجهك ، ومن يطعنك بظهرك .؟ كان الرجل هنا بكل صورة ، وبأدق التفاصيل، وكنت أحاول أمام ذلك أن أكون كل شيء ما عدا أنا ، فاكتشفت بالنهاية أن من تجابهه كل الجهات الأربع لم تكن سوى أنا .! حين ينصب الآخرون من أنفسهم أوصياء على أفكارك ، في هذه اللحظة ما تفعل ؟؟، حاولت أن أجابه وأستميت في المواجهة لكن حين تحيطك آراؤهم من كل الجهات وكأنك قاصر يجب عليهم الصف كسور شاهق لحمايتك من كل ما يعترض طريقك ، أنا أدرك جيداً ما أصنع ، لكن الذي يزعجني أن يتدخل كل من هب ودب بأفكاري ويقومها ، أنا أتمتع بشخصية مختلفة جداً عن النساء من حولي، ولي حريتي التي لا سقف لها ، ولست ملزمة بقواعد

الأفكار التي تعممها النساء على جيل ليس بجيلها، هن لا يدركن من حجب أفكارهن وجعلهن يلبسن خيالاتهن وأحلامهن عباءة سوداء داخل عالم افتراضي دخلنا عن قناعة تامة أننا سنتمكن من قول ما نخشى قوله بواقعنا، فلمَ تقنن أفكارنا، ولمَ تحجب حريتنا، ولمَ تمارس علينا ضغوطات داخل عالم افتراضي نحن صنعناها بأنفسنا لنمارس حرية مسلوبة، سلبها الواقع والعادة والعيب والعرف وكل العادات التي ما نزل بها من سلطان .!! أليس من حقي أن أقول ما أشعر به، فأنا مقتنعة بفكرة الأقنعة، ولبست قناعاً شفافاً بقناعة تامة ولا يهم لو عريت أفكاري وسط مجتمع أخرق لا يقبل حريتي، أنا هنا أتحدث عن هذه الفتاة بطلاقة وعفوية وحرية لا سقف لها، نشأت متحررة بأفكاري، وليس لأفكارهم العرجاء سلطة ولا فرضيات على سلوكي، لأنني خرجت من بيتي حرة، علمني أبي أن أقول ما أشعر به حتى لو كان العقاب مصيري، وأتيت هنا شفافة، حقيقية، ولا ألبس أفكاري حجاباً مزيفاً أمام الجموع.

ثم كتبت : لذلك الرجل الذي ما زلت أتصادم مع الزمن ومع الكائنات ومع القانون والخوف والفشل ومع كل ما هو خارج عن المألوف والعرف والعادة لأفوز به تحت سقف واحد. أكتب اسمك بين خطوط كفي وأقبض بقوة عليه حتى لا تلمحه عين وتسرق نصيبي منك، فاحذر أن تبسط كفك لعين عرافة حتى ألتقيك.



فهذا الوجع الطفيف على مسامات جسدي ،
تلك الرغبات المكبوتة ، الخربشة الموقوتة ،
حشرجة أنفاسي ، رائحة جسدي ، جفاف ريقي ،
عرق جبيني ، ظهري البارد ،
كل ذلك وأكثر يحتاج لعزلة سريعة

أرتكب الكتابة إليك حينما تكون عاطفتي متضخمة جدّاً، وسريري كالعادة فارغاً فأتحسس الورق ألمسه، أشمه، أقبله، حتى تستكين تلك الدغدغة التي تطرق على مسامات جسدي كدبابيس حادة ومؤلمة .!

لم أذق من الحب رشفة و لم أشعر بلذته الحقيقية بعد. أنظر لعين الله ويبتهج وجهي رغم كل مخاوفي. أنا موعودة بالفرح وبالعيد الأكبر حين يطوق عنقي بذراعيه. فيا ألله، قلدني الفرح كيوم عيد يزهو به قلبي. ضائعة أنا في بحر الهوى وفي عينيك وفي القادم حياة تبسط لي كفيها، فلا تلقِني على قارعة الطريق وتمضِ إليها وحيداً.

في كل مرة يحدثني قلبي أنه أوشك على أن ينتهي منه، ألمح آثاره في الأشياء من حولي في قعر كأسه، وكأني أرى عينه تغمز لي في جيب قميصي، وكأن أصابعه تندس بجوار كفي، في شعري المموج، وكأن هناك من يعيد الفوضى لمفرقه، في شفتي العلوية كلما لمسها طرف

لساني، وكأني على موعد مع الذكريات التي لا تهدأ حتى أستعيده من جديد على هيئة دمعة تنحدر على خدي البارد الذي أطوقه براحة كفي خوفاً من أن يصعقه مجرى الدموع. بمجرد أن تتلبسني ذكراه أقف أمام "دش" بارد يرتعش معه جسدي كله وكأنني أراقص الحزن بوصلة عميقة حد إقصائي عن الحياة لبضع ثوان. ويبدأ مسلسل الدموع التي لا تتوقف حتى منحدر ذقني. ألمحه على وجه الجدار يبتسم بحنق وكأن لعنته حلت بي بصفعي لوجه الجدار مرات متتالية بكل ما أوتيت من قوة. تنهار روحي ولا أملك الوقوف على قدميّ أتوسد الزاوية ظنّاً مني أنه رجل لا يسكن الزوايا، لكني أشمه من خلالها وكأن رائحته تسربت لتلك الأماكن لتمد لسانها ساخرة مني مع كل محاولة لسد ثقب ذاكرتي الذي يتسع به.

حينما أنتهي من ذلك الرجل سأقص شعري، سأعيد طلاء غرفتي، سأبتاع مخدة جديدة، سأمضغ علكاً، سأجلب كرسيّاً أحاديّاً، سأجرب جلسة أطوي بها قدميّ، سأرمي قنينة عطره، سأبقى عارية أطول فترة ممكنة من كل رائحة امتزجت به، سأتذوق فاكهة حامضة، وسيجاراً رخيصاً، سأغلق فمي ببلاستر عريض، سأرقص مع كل ناي رقصة تدفعني للموت وأحرص على نفسي ألا أموت.

استدرت للجهة الأكثر إشراقاً و إذا بي ألمح ثغرك، هل رحلت وتركته لي مع النوافذ ومع كل إشراقة فجر جديد؟ ذلك الركن الذي يعي جيداً أي ذكريات ولدت بعمقه، وعلى تلك الشرفة حين نرتشف



قهوتنا الصباحية على وتر فيروز الذي يقض مضجعي بغيابك فكلما مرت بي الأغنيات "زعلي طول أنا وإياك" ورائحة القهوة تهاوى شيء بداخلي وارتطم بوجه الغياب. تبّاً للغياب! تبّاً للذكريات الموقوتة بداخلنا كقنبلة ذرية ما أن تلامس الروح حتى تنفجر كفوهة بركان محموم بلا توقف. الغياب رجل هرم رفضته المدن فالتحف الرصيف وطناً. سأنزوي بمحراب أبي و أتدثر بجلال جدتي ولن أكلم بعد اليوم إنسيّاً وسأصلب قلبي على مشنقة النسيان وأصلي لله طويلاً.

كل زادي منك نفد، وهذا الغياب مرهق كقطعة صوف ثقيلة أحملها على كتفي، وحينما أنتهي منك سأدحرج ذكرياتك ككرة صوف تنطلق على الأرض وطرف الخيط بيدي. حين أنتهي منك، سأعاشر الورق كل ليلة حتى أنجب من تفاصيله رواية، وستكون ذاكرتي عفنة بكل الأشياء التي لا تستحق. حينما أقتلعك من داخلي، سأراقص وجه الصبح بضحكة كبيرة لا تختفي حتى أنزوي بضلع قبري. فأنا أحتاج الآن لصلب قلبي على خشبة النسيان، علني أسلخ من ذاكرتي هذا الحب الذي تشكل على هيئة ورم سرطاني يمتص مني الحياة وأدق تفاصيلها ولا يترك لي الخيار في شق طريقي قبل أن يضعني القدر في طريقه.

الحب مهلك، وأي قدر يجمع حبيبين يعني أنهما في سباق مع الموت. لأول مرة منذ أن تفتحت زهرة قلبي للحياة لم أصل بأموري

الحياتية وحتى مواقفي وتغيراتي النفسية في مرحلة البلوغ إلى المحك، إذ إنه لم يطرأ على بالي الخلاص من نفسي، لكني اليوم فقط تمنيت من كل قلبي وأنا أحاول أن أقرر مصيري في أي طريق أمضي. توقفت وأنا مثقلة بالذكريات لرجلين جمعني بهما القدر ووضعهما في مكان واحد وتوقيت واحد، وعلي أن أمسك يد الرجل الذي أريد وأمضي. وقتها قلت بكل حسرة: "ليتني مت قبل هذا!" فعلاً تمنيت أن أموت قبل أن أختار بين رجلين منحاني أشياء لا يمكن لأي أحد من أهلي أن يمنحني إياها. كان لزاماً أن أقول أسبابي وأمضي في أي طريق يختاره قلبي الذي سخطت عليه في محطات مهمة بحياتي حين خذلتني قراراته المصيرية!

لم أشعر بأدنى إحساس يربطني بصالح، وما أن انفك عقدنا لغير رجعة حتى بكيت كما لو كان شريك روحي وأباً لأطفالي الذين لم يولدوا بعد. كنت أرغب وقتها بسعد بشكل لا يجعلني أبصر الأشياء من حولي ولم تنفك تلك الغشاوة عن قلبي إلا حين رحل صالح، فشعرت بقيمة الأشياء معه وحاولت التخلص من أي ذكرى تمر بي وأنا في حالة فقدي تلك.

تحولت علاقتي بسعد إلى رسائل إليكترونية بعدما اتقدت نار الحب بيننا، لدرجة تمنيته بحضني ضاربة بكل القيم والمبادئ عرض الحائط. كان يقول لي:



- القدر لا يضع أعدائي في طريقي مرتين. وحدهم من سيكونون فيما بعد أحبابي يزج بهم القدر إلي بلا موعد. وكنت أقول: من رحمة الله بي أن بعث لي حبيباً كما كنت أتخيله في عباءة أحلامي. لم يكن لي أن أقبل بزواج تقليدي في وسط مجتمع يقدس التقليدية ويتوارثها جيلاً بعد جيل إلى أن وضعه الله بطريقي لأتشبث به بكل ما أوتيت من قوة.

انتهت مرحلة حاسمة من عمري. كنت أتصور أن تلك الصفحة طويت لغير رجعة، لكني لم أتخيل ولو للحظة واحدة أن سيرة صالح ستلازمني في كل مراحلي القادمة وكل ذلك يحدث لأن ذلك الفعل يعد خرقاً لتقاليدهم وأعرافهم التي يؤمنون بها لدرجة التقديس!

لم يعد هناك سوى عقبة وحيدة، وستجمعني الأيام بسعد بعدما انتهيت من صالح. لم أتصور أني الآن أمام مطب حقيقي هو المجتمع بأعرافه وأن ما سأقوم به شيء لا يدينني عليه الشرع، أنا التي منذ وعيت لم ألق بالاً لأي من أعرافهم أو حتى تقاليدهم، وكنت أتنفس الحياة بمعزل تام عن عين الرقيب، فلم يكن لأفكاري أن تظهر كما كانت في تفاصيل يومي، بل كنت أنفس عن هذا الفكر عن طريق عالم افتراضي لم أجد فيه من يكمم فمي أو حتى يخترق علي عزلتي، حتى وجدت سعد الذي التحم فكره بفكري، لدرجة لا أتصور أن تمضي أيامي من دونه. وهكذا وقفت في وجه أعراف المجتمع. أطلب حقي في العيش كما أريد، وأختار الطريقة التي تناسبني في ارتباطي بمن

أحب دون أن يكون لأعرافهم أي تدخل. كانت أمي تستشعر تلك الملامح المختلفة التي تبدو في تعاملاتي مع الأحداث من حولي، لكن لم يكن لها أن تقف بوجهي، لأن كل ما أطلبه لا يخالف المنطق بل يثير حفيظة المجتمع الذي نسكنه.

كان وقتها حديث مجتمعي عن المبادرة التي قامت بها فتاة سعودية بقيادة السيارة وسط حملة أطلقتها مع عدد من الفتيات حددن لها يوم السابع عشر من يوليو، ذلك التاريخ الذي قلب المجتمع رأساً على عقب وجعله يجرمها على اختراق عرف اجتماعي، كما سيحدث معي الآن لو أقدمت على الزواج بسعد. ستتكاتف الجهود وترجمني لأني اخترقت عرفاً اجتماعيّاً مقدساً عند الأغلبية. لم تكن تلك الحملة من ضمن اهتماماتي ولم أكن متابعة لها، لكني تعجبت وذهلت من كمية المعارضين لتلك الحملة رغم أنه لم يصدر أي قرار يحرم هذا الأمر أو حتى قانون يلزم العقوبة، فثمة عناكب تستوطن الرؤوس وتجعل نظراتهم واهية، كان إمام مسجدنا خصص لتلك الفتاة خطبة الجمعة ووصفها بالفسق والخروج عن عرف اجتماعي وسط تصاعد الأمر الذي لم أقبله، حتى انتقل لأوساط النساء بين معارض ومؤيد. كنت وحدي أتابع كل ذلك بمعزل عن التصادم مع أي رأي يعارض أفكاري سواء بحياتي الواقعية أو الافتراضية. كنت أجنح دوماً بأفكاري ولا أتداخل في أي قضية لا تهمني رغم كوني فتاة أحلم بخصوصية وتولي أمري في كافة أموري، لكن لم يكن يشغل هذا الأمر سنوات



عمري التي لم تتجاوز العشرين. كان همي أن أقود مركبة حياتي دون أدنى خسائر، فلم يكن لي أن أقف بوجه عائلتي التي نشأت على تقديس الأعراف الاجتماعية بشتى قرارات حياتها. فمنذ زمن جدتي لم يكن يحق لبنت القبيلة أن تتزوج من خارج قبيلتها، وكان وقتها حرب بين القبيلة ذاتها ومن يخرج عن سياستها. وحدها أمي هي من خرجت عن قبيلتها ليكون جدي خارجاً عن عرف قبَلي متوارث من جيل إلى جيل. كنت أنظر الآن إلى حالي، ماذا سيحدث لي لو تزوجت حجازيّاً عرفته عن طريق الإنترنت كيف أقنعهم وتلك الوسيلة التي حضر من خلالها لا يمكن لمجتمعي تقبلها حتى لو خرجت عن عرفهم القبلي؟ كيف بي أخرج عن عرف اجتماعي كهذا؟

وصلت إلى قرار نهائي، وهو أن أخبر أمي بكل ما يحدث معي دون أن أفكر بتبعات هذا الأمر وما سيحدث لي. كنت قد وضعت علاقتنا في ساحة نقاش أمام أمي، وعلي أن أسير في طريقي دون تخطيط سابق فيما لو كانت ردة الفعل عنيفة أو حادة، لكني فوجئت بتقبلها الذي لم يكن يخطر على قلبي.

سمعت أمي حكايتي وتفاصيلي مع سعد، فقالت وهي تنظر في عيني:

- هو نفس الكاتب (سعد مطران)الذي كلمتِه من بعد عودتك من المعرض؟

- هو بعينه.

ثم تركت لي الوقت لقول كل ما أردت أن أخبرها به. توقفت عن الحديث وأنا أستحث في وجهها أي ردة فعل صادمة كما كنت أتوقع، لكنها امتصت كل انفعالاتي وصوتي المرتجف الذي يحادثها بغصة موجعة لم أستطع أن أتستر عليها، ثم فجأة سألت:

- العلاقة قبل خطبتك؟

هززت رأسي فواصلت السؤال:

- ولِم لَم يتقدم وقتها؟

- وقتها لم تتضح ملامح العلاقة.

- كيف؟

- هي معقدة شوي، وقتها لم أفكر أن أتزوجه، ولا هو فكر.

- بعد خطبتك كنت على تواصل معه؟

ارتجفت أطرافي لم يكن لي أن أصدق معها وهذا الأمر يعتبر جريمة بنظرها. كيف أتواصل مع رجل وأنا على ذمة رجل آخر؟ خرست ولم أعد أعرف ماذا أريد. الحقيقة وجهها مؤلم. تنفست أمي بعمق وقالت:

- رغد حين ترددين، أدرك جيداً أنك تحوكين كذبة بداخلك، كنت على تواصل معه؟



- لا، أكيد ما بيننا شيء أبداً، العلاقة كانت قبل خطبتي وما أن علم بذلك حتى ابتعد عني، وبعد فسخ عقدي أخبرته ليطلبني بإصرار كبير.

كنت أستجمع الأحداث ببالي. بدوت وأنا أقول تلك الكذبة بريئة جدّاً لدرجة لم تلمح غصة الصدق بصدري! كانت تناقشني كصديقة، لم أشعر لحظة ببردة فعلها أنها أمي بدت أكثر هدوءاً حتى كسرت الحاجز الذي بيننا وسمعت كل ما لدي حول علاقتي بهذا الكاتب، ثم ما أن انتهيت حتى قالت:

- اسمعيني يا رغد حتى النهاية. هذا الأمر لا يفتح مرة أخرى، حتى لو كانت روحك مرتبطة بهذا الرجل، عليك أن تقتلعي هذه الروح ولا تفكري بأمر كهذا أبداً. الناس لن يتقبلوا زواجاً كهذا أبداً، وقبل الناس أهلك، عائلتك، عمومتك، كل من حولك سيجرمك على هذا الفعل لو خرجت عن طوعنا. الزواج ارتباط عائلتين وليس شأناً يخصك وحدك. ولا أتصور أن تقحمينا مع عائلة لا نعرف أصلها وفصلها ومن مدينة أخرى تختلف كليّاً عن عاداتنا وتقاليدنا. لا أريد أن أمنحك أملاً وأخدعك. الحياة لا تستقيم بالوعود الكاذبة. هو رجل لن أقول إنه يتسلى، لعله صادق، لكنه يقيناً سيخرج عن طوع أهله ليتزوجك وستتحول الحياة معه إلى جحيم لا يطاق لأن

عائلته لن تقبل بك ولن يتقبلك مجتمعه أبداً وأنت دخيلة على أعرافه وتقاليده. ولو حدث الزواج سيكون الطلاق أمراً حتمياً لأنه لا جلد لديكم على تحمل الرفض من أهله، ولن تحتملي الحياة وظروفها وأنت وجهك بوجهه دون تواصل اجتماعي مع عائلته، لذا لا تنظري للأمر إلا بعين المنطق، لم تخلقي لتوضعي في مواجهات أعراف مجتمع لست قادرة على مجابهتها. هذا عرف ولا يمكن لأي علاقة أن تستمر لو خرقت أعراف مجتمعها.

شعرت أن كل ما تتحدث عنه أمر حتمي لا يمكن لي مناقشته معها. كنت أنظر لتفاصيل وجهها التي كلما تغيرت و احتدت نظرتها شعرت بشيء يقبض على قلبي وكأن الأرض من تحتي نشبت حرائقها. كنت أبكي بحرقة وهي لم تحرك ساكناً، كانت تنشغل بما حولها حتى لا تلمح ضعف قلبي بين يديها، ولم يكن لها أن تقطع خيط الأمل وترديني على هاوية الضياع في الوقت الذي أتوق فيه إلى حب يمنعني منه سياج عرف لم أومن به حتى أتقبله بصدر رحب. تعالت صرخاتي وكنت أكتمها بيدي وكأن عين أمي تخيط فمي عن أي ردة فعل يمكن أن تصدر مني. صعدت إلى غرفتي وأنا أهوي بروحي لحافة الهلاك، لأن أملي الوحيد ومن توقعت وقفتها بصفي هي من قطع خيط أحلامي وهوى بي إلى الضياع. فكرت ملياً: ما العمل الآن؟ فمن الصعب علي مجابهة أهلي بقرار مصيري كهذا، ولا أتصور أن لدي



القدرة على فعل أمر كهذا لأني أجبن عن أن أنشق عن عائلتي في هذا التوقيت.

اتصلت بسعد . كان اتصالي الأول بعد فترة من الزمن، لم أستطع أن أتفوه بكلمة واحدة سوى أنفاسي الملتهبة وهو بالجهة الأخرى ينادي:

- رغد، ما بك؟ ماذا حدث؟

وأنا أنفث كل آهاتي:

- لن يقبل أهلي بزواجنا.

- سنحاول. هي المرة الأولى صادمة، لكن مع التكرار والمحاولة سيصبح أمراً مقبولاً من جهتهم. لا تيأسي يا رغد، هذه حياتنا ولن نستسلم أبداً.

- أمي لم تقبل وهي أقرب إنسان لي، صعبت الأمر بحيث لا أرى بصيص أمل فيه.

- الأمر ليس مستحيلاً. هو زواج يا رغد، وحتى لو انتظرتك عشر سنوات قادمة لن تكوني لأحد غيري، هوني عليك كل ما عليك ألا تقبلي بأحد مهما كانت الظروف.

- أقسم أني لن أتزوج غيرك.

- هذا ما أريد.

- ما زلت أعشقك وأتوق للقائك ولن يعزلنا أحد عن ممارسة ما نؤمن به .
- أنا لك يا رغد وبالطريقة التي تناسبك .
- ملكتك روحي ولن يكتشف تضاريسي رجل قبلك
- أهبك الباقي من عمري لنقضيه معنا
- أمنياتي تورمت بك منذ رحلت وذلك الطفل البائس الذي لم يبصر الحياة .. ابني الذي لن أنجبه أبداً لو لم يكن من ظهرك..

كان سعد يتصاعد بروحي بشكل مجنون ، كنت أقرأ له من قبل بنهم عاشقة لم ترتوِ والآن غارقة في تفاصيله الصغيرة حيث لا يمر نص إلا وأنا قد قرأته وناقشته مطولاً فقد كتب مؤخراً قصة "الرجل الطويل ذو الساق القصيرة" وأحدث ضجة حول كونها لا تدخل في تصنيفات القصة و (ق ق ج) وراح الكثير لنقدها لكنها أدهشتني بحيث توقفت عندها طويلاً .

فتحت جهازي على مواقعي المفضلة. كنت أتصفح بهدوء قاتل، وأنا لا أشعر بلذة الأشياء من حولي، في الفيسبوك كان هناك عدد من النوافذ ينبثق أمامي بمحادثات أصدقاء لم أعرها أدنى اهتمام. كنت أقرأ كل ما يكتب، لكنني لم أجد في نفسي أي شيء لأرد على تلك الأحاديث، وفي تويتر كان هناك عدد من التغيرات الجديدة، أشعر وكأن العالم يتحدث بذات اللحظة وفي سباق مع الزمن، من



يتحدث أكثر؟ ومن يغرد أسرع؟ وكأن عينيّ اللتين كانتا تلاحقان كل تغريدة استبدلت بهما أمي عينين لا أشعر معهما بأي تواصل مع هذه الكائنات. انتقلت بعدها للمنتدى وأنا أرى الجو العام للردود سطحيّاً بشكل سخيف. الكل يتحدث، الكل يوجه رسائله لغائب ما، والكل وحيد ومجروح ومنعزل بذات الوقت، وأنا من خلف تلك الشاشة أشعر بغربة روحي عن كل تلك المواقع التي كنت قبل هذا اليوم أتفاعل معها بشكل مندفع ومثير.

توجهت لموقع المراسلة كنت قد أضفت عدداً من الأصدقاء، فوق أربعمائة صديق، وكتبت سؤالاً في الصفحة الرئيسة: من خطفك؟

ظللت متسمرة أتابع ردود الأصدقاء على السؤال. كان الكثير غارقاً بالأحلام والقليل جدّاً من كان جوابه منطقيّاً وأكثر واقعية. شعرت بنعاس خفيف فتمددت في ما يشبه غفوة لم تكتمل. نهضت من سريري وكأني تحولت إلى إنسانة أخرى. فتحت ملف الوورد وكتبت دون أدنى تفكير:

– "الأمور لا تستقيم أبداً بدون خدعة. لا بد أن يتحول الأمر في نهاية الرواية لمصلحتي. لم أحشر نفسي في كل هذه المتاهات لأصل بالنهاية لزاوية منحنية لا تنفرج لي عن منحى خروج."

تزاحمت بمخيلتي أفكاري الشيطانية، ولأني قبل هذه المرة كنت قد أسميت نفسي بالفتاة السيئة لخروجي على العرف والعادة كان

لا بد أن يكون لاسمي ذاك معنى حقيقي. اتصلت بسعد وطلبت منه الحضور لخطبتي بشكل رسمي حتى أضع أهلي أمام الأمر الواقع لأثبت لنفسي أني فعلت عين الصواب وكنت مستبقة الرفض قبل ذلك.
قال مذهولاً:

- هل وافق أهلك؟

- بالطبع، ويريدون التعرف عليك وحدك فقط هذه المرة، فلا تحضر أحداً.

يومان وحضر سعد من المدينة المنورة. كان وقتها معي بكل وقت يحادثني بكل التفاصيل عن اليوم الذي ينتظره بفارغ الصبر. كنت أخدعه لحظتها، فلم يكن لي أن أحضره وهو مزهو بالفرح ليصدم من ردة فعل لم يكن له أن يتخيلها، لكني ضغطت على نفسي لئلا أخبره بأي شيء حتى يرى ردة فعلهم وقت حضوره.

فما أن هبطت الطائرة حتى اتصل بي سريعاً : وصلت يا رغد .

فحملت نفسي وغبت لا شعوريّاً عن أرض الواقع هو اللقاء الأول وبعد دقائق سأكون وجهاً لوجه مع الكاتب سعد مطران بنفسه ، هل شكلي مقبول بحيث يغرم بي منذ أن ينظر لعيني أم الجمال آخر شيء يفكر به كاتب كبير بحجمه ؟

وصل الرجل الطويل ذو الساق القصيرة ، وكأني أواسي نفسي أن ذلك ليس سوى حلم صغير سأفيق من غيبوبته قريباً .



لبست فستاناً سكريّاً قصيراً وسرحت شعري لأول مرة حتى ظهر منساباً إلى ما تحت كتفي.

بدوت كملامح صبية صغيرة ترتدي نظارة طبية بشعر قصير فثارت أنوثتي لا يمكن أن أبدو كذلك حتى لو كنت ذات الصبية !

بدلت نظارتي لعدسات طبية لاصقة اخترت لوناً رصاصيّاً وضعت كحلاً تحت عيني حتى بدوت أكثر فتنة ، نظرت لفستاني كان تحت ركبتي بحثت عن فستان أقصر وكأني الآن في اختبار مصيري يعتمد كليّاً على مظهري !

وضعت كريماً لامعاً على ساقي وعقد لؤلؤ يصل تحت حزام الفستان الذي فتحت أزرار صدره بشكل مغرٍ لينفرج عن نهرا جرى بين جبلين متواريين سكبت عطراً وكأني أتهيأ لإشعال حرائقه.

لبست عباءتي وركبت مع السائق لجهة قلبه .. ما أن وصلت حتى دخلنا في ركن معزول صافحته وهو يزيح النظارة الشمسية عن عينيه في بهجة لم يستطع أن يكتمها في جوفه فبدت جلية في ملامحه

هلا ، هلا رغد . ليقترب من صفحة خدي ويختطف قبلة بريئة.

جلست وأنا أحاول أن أظهر زينتي وكأن عباءتي انفتحت دون علمي

فقال : كل هذا الزين لي ؟

كنت مرتبكة جدّاً بحيث تركت له دفة الحوار يتحدث كيفما يشاء تحدثنا عن القصة والكتاب والرواية فقال ما طموحك يا رغد

- أكتب رواية .
- كتبتها ثم ماذا ؟
- أحلم برواية مختلفة عما هو سائد الآن .
- مفهوم الاختلاف لديك ؟
- رواية أغير بها الطريقة التقليدية للروايات السعودية .
- وهل تستطيعين ؟
- ألا تؤمن بموهبتي ؟
- الموهبة وحدها لا تكفي ، وأتصور الطريق أمامك طويلاً طويلاً جدّاً لتخلقي ما يسمى رواية مختلفة !
- لكنك كل مرة تكتب قصة مختلفة فنبت لدي ذات الشعور حول رواية مختلفة .
- أنا أخلق فكرة غير متداولة وأروج لها بعرضها بطريقة مختلفة عن السائد والتقليدي، لكن لاحظي من يهاجم فني بخلق القصص سيتبع سنتي لو بعد وقت .

فهذا العالم يريد شيئاً غريباً ليهاجمه وما أ ن يمر الوقت حتى تجد من هاجمك يتبع ملتك . وثم يردف ضاحكاً : أنا بنصوصي أسن



لهم سنة حسنة وسيكون علي حمل وزر من تبعني ليوم الدين.

- لكن نصوصك تحدث ضجة بكل مرة .
- لأني خلاق ومبتكر .
- ومغرور .
- لا أبداً من يعرفني جيداً ، سيرى غير ذلك .

صمت يطبق بيننا ثم يقطعه وهو يلوح بشاشة هاتفه اضحكي يا رغد ، شبه ابتسامة وومضة الفلاش بحركة سريعة تضرب في وسط عدساتي لأغمض عيني فيضحك كثيراً على وضعية التقاطه للصورة وأصرخ بوجهه امسحها شكلي يضحك

ثم يقول : لا سأحتفظ بها كما هي . يقترب من صفحة وجهي :

(*) [أنا وأنت يا رغد مختلفان في المدينة التي ننتمي لها ، في مفهومنا عن الدين و عن الحب والجنس ، أريد أن تعرفي أني أحترم اختلافنا .

- أنا لا أنتمي لمكان ، وطني حضن الرجل الذي أعشق ، لكن لدي ثوابت لا يمكن المساس بها ، فكل ما أطلبه منك أن تحترم ربي وديني ومعتقداتي في وجودي وما بينك وبين نفسك شأنك مع خالقك .
- اتفقنا ، أنا أكره الخطط يا رغد وأنت لمعتِ فجأة ومعك لم

---

* محادثة بين البطل والبطله

أخطط لأن أركض خلفك ، فقط ركضت دون تخطيط .

- وأنا لا أصنع المصادفات وكم تمنيت لو صنعتها معك لكن ما حدث بيننا مصادفة لا يد لي فيها .

- أستطيع وعدك بشيء واحد أنا لن أسبب لك أذى من أي نوع وبأي مقدار .

- أبتسم

تغني لي؟

- لَمَ تبعتني ، رغم أني كنت أتصور أني أنا من أتبعك لو وجدت ظهرك بالطريق مولياً ؟

- لأني أريدك يا رغد .

- فقط هذا اليوم ؟

- رغد ، رغد ، أنتِ امرأة أنا أريدها ليوم واحد فقط ؟

فيعتلي المكان من حولي صمت مطبق ثم يهزني : جاوبيني يتحرك لساني بها ثم أخرس ليقول أطلقي لسانك .

فأتردد قليلاً ثم أقول : خطواتك لم تكن متباعدة خطوتين فقفزت أخشى أن تقفزني بالنهاية .

- قولي لي : أنا امرأة قادرة على إبهارك .



- أنا أثق بما لدي لكن لا أثق كيف تستقبلني وكيف أتشكل بك؟

- أنا مدمن على السياسة والأغاني والكتب إذا يضايقك ذلك زودي جرعتك لأدمنك أنتِ .

- أجيد أن أسحبك منك وأستوطنك ، لكني لا أريد أن أفعل ذلك عنوة أريد أن تفتح صدرك وخطوة بخطوة .

- مفتوح ، وخطوة بخطوة .

- أجيد الاستمتاع حتى بأقل الأشياء ، كيف بوليمة كـ أنت يا سعد .

- مهتم بك كلك ، حتى الجوانب التي لا تهم إلا صديقتك ، مهتم برغد الإنسانة وتحديداً بالطفلة داخلك .

- ـ من وين طلعت لي ؟

- أنتِ من وين طلعت لي ، أبي تنسيني اسمي ، خطوة ، خطوة، حرف ، حرف

- مجنون لو نسيت اسمك .

- لا أريد أن ننافق بعض إطلاقاً ، وشو ما صار نظل حد بعض .

- وربك ، وربك ما يحدث لي الآن شيء فوق العادة ، فوق تخيلاتي كلها ، فوق أحلامي

شيء لم أفكر به، ولم يحدث مع أي رجل كان ، أمقت التقليديين على كل حال ولا أتجاذب معهم بحديث عابر لأني أرى أن هناك من يستحقني من هو أرقى منهم ، فدائماً ما أضع سياجاً حولي ، تشتهيني الأعين لكن لا تلمسني ، وهنا معك وكأني فتحت نوافذي كلها وشرعت الأبواب

بادلت القفز بالقفز .

- ما راح تندمي على معرفتي، أوعدك

- ما أبي أفكر بكرى، ولا بعدين ولا حتى شو راح يكون شكل تواصلنا أبي أعيش اللحظة هذي خطوة بخطوة لا تقفز ولا أقفز.]

معك وقت يا رغد ؟

لماذا ؟

لمشوار بالسيارة ؟

كل الوقت لأجلك .

أصعد برفقته مجهز عمرك يا سعد ؟

- تعودت أستأجر سيارة بكل مدينة أنزل بها لا أرتاح لتاكسي الأجرة في قضاء مشاويري .

من قرأت له طبعاً غيري ويضحك .



- أحلام ومحمد علوان وعبده خال .

- من الروايات العالمية ؟

- ما أميل للروايات المترجمة عندي عقدة منها

- لمَ ؟

- أشعر وكأني في مسلسل مدبلج ، لغتهم بائسة ولا تناسب ذائقتي

- حتى ماركيز ؟

- قرأت له لكن حقيقة لا أميل لمجمل الروايات الأجنبية .

يقول هازئاً :

- وإحدى عشرة دقيقة تتوافق مع هواك ؟

أقولها ضاحكة : هي جميلة في لذعتها لكن ما يهمني بحياة راقصة ؟، كتبوا عن تفاصيل مجتمعاتهم ما يهمني بهذا الجانب هو معرفة كيف تعيش المجتمعات الأخرى لكن يقيناً لن أكتب رواية سعودية عن فتاة أجنبية لأن ذلك ليس حلمي هناك من الأقلام ما تكفل بخلق شخصيات تحمل صفات مجتمعاتهم هدفي أن أسلط الضوء على شخوص مجتمعي الصغير وأنقله للعالم من حولي .

- يعني قراءاتك تنعطف للقصص الرومانسية والدرامية ؟

- أحب هذا النوع كثيراً .

أدار الراديو ليرتفع صوت جميل (ساعات ، ساعات أحب عمري وأعشق الحياة)

- تلك من أجمل الأغنيات التي لا يمضي يومي من دونها .

لأقول : أول مرة أسمعها ، لكنها ستكون بمفضلتي منذ هذه اللحظة .

كان يوماً لا ينسى حاولت تسجيل أحداثه بكل تفاصيلها لأني في وقتها كنت أدون يومياتي وأخصص قسماً بمذكرتي لأفضل أيامي على الإطلاق ليحل هذا اليوم التوب في قائمة أيامي الجميلة

كنت أرتب ذاك اليوم بشكل لم يلحظه أحد. تيقنت من بقاء أهلي بالبيت. أرسلت الخادمة لتجهيز البخور والشاي والقهوة. اتصلت بصديقتي مها حتى لا يشعر أحد بحركتي غير المعتادة بالبيت. وعلى رغم علمي السابق بكل شيء، لم أكن على سجيتي، ينخطف لوني فجأة كل دقيقة، يمر لي الأمر أمام عيني وكأن حدثاً بالثامنة سيهز أركان البيت ويهدمه على رأسي. حاولت مها أن تمتص تشنجاتي وهي التي أرى الخوف قد حولها إلى شيء مهزوز، حيث لا تعرف ماذا سيحل بي بعد ساعة. كانت أتصنع الثبات وأنا التي ذبل وجهي فجأة وانطفأ بريق عينيّ، وكل رنة من هاتفي تضرب أعصابي. كنت قد حولت هاتفي على الوضع الصامت حتى دقت الساعة الثامنة. فتحت نافذتي لأرى سعد أسفل مني، أمام مدخل البيت، واقفاً ينتظر من يأذن له



بالدخول. شهقت بلحظة واحدة وخررت ساجدة. لم يكن لقلبي أن يحتمل المنظر. حضرت أمي ترش الماء على وجهي، وكنت لحظتها أعي ما حولي لكن هناك ما يعزلني عنهم. لم أستطع أن أنطق. تحول لساني قطعة خشبية لم يمكّني التحكم بها وأخذت أشير بيدي معبرة عن أنين لم ينقطع. حملتني أمي على سريري وهي تقول:

- دعوها على السرير حتى تفيق.

وعندما أفقت خرجت من غرفتي وأنا أحاول أن أمسك يد مها التي قالت:

- سعد بالمجلس تحت.

حاولت أن أستعيد أنفاسي كلما هربت مني إليه، وأنا أردد بجوفي أن أمري سينتهي. بعد عشر دقائق مضت استأذن والدي وجاء لأمي:

- رجل من المدينة المنورة يخطب رغد؟ وبالاسم؟

- ما الأمر؟

حاولت أمي أن لا تبدي أي ردة فعل تظهر أنها على علم بالأمر.

- ما كلمني أحد من أهله. شكلها توصية رجال بعضهم لبعض.

- جهزوا لنا العشاء، لزوم نوجّبه.

صعدت أمي إلى غرفتي وسألت وهي تنظر في عيني:

- رغد، ماذا فعلت ؟

حاولت أن أدس رأسي في مخدتي، وأنا أقول :

- طردتوه؟

- لا ما هي عادتنا نطرد الضيوف، يتعشى عندنا. دقي على عمك وقولي له عندنا عشا لضيف، ولزمي عليه.

شعرت أن الأمر يتصاعد. فجأة تحول من خاطب إلى ضيف اجتمع أهلي حوله. استعدت أنفاسي وشعرت أن الأمر لا يتطلب سوى المبادرة. حتى لو حدث ورفضوه الأهم أنه دخل من الباب وتقدم لي. تسمرت طويلاً أنا ومها بالقرب من الباب الذي يصل مجلس الرجال بصالة الاستقبال، وكنت أستمع إلى حديثهم حول القبائل الموجودة بالمدينة المنورة وأفخاذها والقبيلة التي ينتمي لها سعد. كان يتحدث بصوت جهوري رغم لهجته الحجازية التي تظهر في بعض الكلمات، لكن الحاجز في انطباع أول انكسر بينهم، وكأن لم يكن هذا اللقاء الأول الذي يجمعه مع أهلي وعمومتي. غادر واتصل بمجرد مغادرته، فرفعت الهاتف قائلة:

- لا تتصل حتى أبعث لك رسالة.

ثم أقفلت. كنت أنتظر ماذا سيحل بي حينها. تحدث عمي عن سعد وعما كان يريد. تصاعد خبر خطبته دون أن يكون لهم علم



سابق به أو حتى تواصل اجتماعي مع عائلته. قال والدي:

- عطيته وقت نرد عليه، وما لي نية أزوجها لحجازي أبدا!

صعقت من ردة فعلهم. كانت مها تستعد للذهاب مع سائقنا. ركبت معها من أجل توصيلها رغم حرص أمي وقتها على ألا أغادر حدود البيت في هذه الساعة. كانت تراودني أفكار مجنونة وأنا أتصل بسعد دون تخطيط سابق لأقول له:

- أنا الآن مع السائق وأريد لقاءك؟

- رغد، ما الذي حدث؟

- أريد لقاءك.

- لاقيني عند كوفي نهاوند.

- لا أريد مكاناً عامّاً، خذني إلى أي مكان بعيد.

- الوقت تأخر، عودي للبيت. غداً في الساعة الواحدة رحلتي، وسنلتقي في الصباح.

أقفل هاتفه وأنا بين أمرين لا يمكن لي أن أعود ومشاعر الخوف تسكنني في أن يحول أهلي بيني وبينه وهو الآن في متناول قلبي ولا يمكنني أن أعزل عاطفتي المتأججة عن لذتها في لقائه. توجهت للفندق الذي يسكنه وأنا عمياء القلب، تقودني عاطفتي. لما ولجت باب الفندق اتصلت وضربات قلبي تتسارع:

- سعد أنا تحت.

- أين؟ صرخ بوجهي.

- في الفندق، أنتظرك، ولا أحد هنا بالخارج غيري.

نزل مسرعاً ليلفني بين يديه وهو يدفعني لباب السيارة:

- ماذا تفعلين هنا؟ هل جننتِ يا رغد؟ اركبي السيارة.

وصعد معي. نظرت في عينه وعينه على السائق بنظرة محتقنة، كنت لا أعي تلك النظرة وما تعني فعاطفتي لحظتها عزلتني عن أبسط شيء مثل التفكير بنفسي. نزل بحذر وهو يقول: سأرى ما يمكن أن أفعل حتى أصعد بك إلى الأعلى. وفعلاً، ما مرت دقائق إلا وحضر. أخذني ممسكاً بيدي وعيني ترمق موظف الاستقبال الذي يخفي رأسه بين الأوراق محاولاً ألا تلتقي عينه بأعيننا. شعرت أن المكان والزمان وكل ما حولنا من كائنات أغمضت عيونها حتى تلتقي أرواحنا. لم أخش شيئاً وأنا بحضوره، لكني كنت أدرك جيداً أنه الشخص الوحيد الذي يحافظ علي أكثر من نفسي. وما أن تقدمت خطوة حتى أغلق الباب من خلفنا. وقف طويلاً وكأنه يكبح عاطفته، كنت أشعر بالضجيج بداخله، لكنني لم أتقدم خطوة واحدة تجاهه، بل تسمرت وكأني لوحة خشبية في زاوية منسية. شعرت أن الأرض من حولي تدور وأنا أرى خطواته باتجاهي حتى وقف كما وقفت في لقائنا الأول بمعرض الكتاب. كنت أرتجف بشدة وهو يرى وجهي بعد حب



مجنون عصف بمشاعرنا وجعلنا حبيسي هذه الغرفة. قال:

- كنت أشعر حسيّاً أنك جميلة جدّاً يا رغد، لكن حبي لم يكن لهذا ولا يمكن له أن يكون لهذا السبب، الكثير من تفاصيلك هو ما جعلني أعشقك حد أن أختارك أمّاً لأولادي الذين لم أفكر بهم إلا بعد ما وضعك القدر في طريقي.

قلت وأنا أميل بوقفتي للتسريحة من خلفي:

- لا أريد من هذه الحياة غيرك، وأتيت هنا لأضعهما في مواجهة مع القدر الذي لا مفر منه.
- لكنك قدري منذ صافحت كفك الشهية يا مجنونة.
- لكن أهلي لن يقبلوا بك رغم طرقك للباب.
- لننتظر ونر ماذا تخبئ الأيام.
- أريد أن أرحل معك، خذني ولا تلتفت إلى الخلف.
- في الخلف الكثير منا، الكثير يا رغد، ولا يمكن أن أهرب بك إلى الضياع.

تحشرج صوتي وغصت الحروف بجوفي وتصاعدت أنفاسي بضربات متتابعة فخطفني مني لحضنه لأتشبث بروحه وتعانقه يداي. كنت أسمع فرقعة ظهري وهو يشدني لحضنه. لم يغمرني رجل بحياتي كما فعل هو، لدرجة وصل لعمق تفاصيلي وأنا أدس عيني

بصدره وهو يعبث بي فيصعدني لصدره، لتتأرجح قدماي كل مرة أتشبث بها بعنقه. لم أكن أفك قبضتي التي تغرس أنيابها بظهره، وما كان له أن يبتعد عن حضني وأنا أتنفس في أذنه. كانت لحظة تمنيت لو توقف الزمن فيها، ليجلسني في حجره:

- ما كان لك أن تأتي هنا ، فبالأمس كنا معاً بشكل مرضي .

- خشيت أن ترحل قبل أن أشعر بحقيقة الأشياء معك.

- لم أشك بحقيقتك معي، استشعرت صوتك، أنفاسك، حروفك، وكل شيء حدث بيننا، لم يكن للحب أن يخدعنا، ما نشعر به حقيقة يا رغد، وعليك أن تؤمني بذلك.

- ولأني أومن بعلاقتنا أنا هنا الآن.

نظر إلى الساعة:

- عليك أن ترحلي الآن.

- السائق عاد للبيت.

- وهل سيخبر أهلك؟

- صدقني لن يفقدني أحد.

لبست عباءتي وأنا أتمنى لو أنام هذه الليلة بحضنه، فلحظتها تساوت كل الأشياء في نظري ولم يطرق قلبي الخوف أو حتى الشعور بالذنب. كنت أعتقد أن ذلك حقي ونصيبي فيه ضاربة بكل القيم



والمبادئ والقوانين عرض الحائط. كنت أتمنى لو لمسني حينها، لأن ذلك الحل الوحيد لكي يخضع المجتمع لقراري، فاقترب لحظتها وكأنه يسمع نداء قلبي. قبلني قبلة خطفت الحياة من روحي لثوانٍ وعادت بي لألتهم شفتيه في لحظة مجنونة لم يوقفني من تتابعها إلا ارتطامي بالباب من خلفي، لأرمي عباءتي في محاولة مني البقاء معه هذه الليلة لكنه دفعني بشفتيه كل مرة يلثمني بهما:

- عليك أن تغادري يا رغد.

- لن يفتقدني أحد.

سحب أنفاسه من آخر قبلة وهو يحمر وجهه. كنت أرى بريق عينيه الذي يخطف قلبي وهو يسحب سيجارة وينفثها بلذة أمامي فاختطفتها من بين شفتيه ودخنت شهوتي الموقوتة وأنا أنفث أنفاسي بفمه:

- مدخنة يا رغد؟

- هي سيجارتي الأولى.

- عليك أن تحسبي عدد السجائر بعدها، لأني لن أسامح نفسي لو دخنت بغيابي.

عدت إلى البيت وهو يحيطني بذراعيه. كانت تتوغل يده في صدري وأنا أنظر في عينيه. قبل يدي ودخلت البوابة. لم أجد سيارة السائق. اتصلت به سريعاً لأجده ينتظرني في مواقف الفندق وأنا

التي تصورته عاد للبيت. جلست في غرفته بعدما أغلقت النور نصف ساعة. تأخر طويلاً فاتصلت ليحضر لي معه أي شيء من السوبر ماركت ودخلت دون أدنى خوف مما سيواجهني!

اندسست في سريري وضربات قلبي تتسارع وأنا أهدئ من روعي. لم يلحظ غيابي أحد على الرغم من صوت حركة الأشياء التي تتصاعد من غرفة أمي. أغمضت عيني وأنا أشعر بأولى خطواتها تجاه غرفتي، لتقف عند الباب وأنفاسي تضطرب بلحظة أفقدتني اتزاني. نظرت باتجاه سريري بصمت وهي تدير الباب حتى أغلقته. تنفست الحياة من عمقي، كانت دقيقة أقرب للموت منها للحياة، لكني نفثت كل شحناتي خارجاً بعدما تحققت من عودتها لغرفتها بذات الدقيقة المهلكة.

أفقت في الصباح، لأجد اتصالاً من سعد والساعة تشير للعاشرة صباحاً. اتصلت سريعاً ليقول:

- أمامي ساعة قبل أن تقلع الطائرة.
- يتسع هذا الوقت لحضن كبير حتى تخطفك الطائرة مني.
- مجنونة!

أخذت حماماً سريعاً وأنا ألتقط الأشياء من حولي، هاتفي، خاتمي الذي لا يفارق أصبعي السبابة، وعطر منديل، وعلكاً. كنت أشعر أن هناك شيئاً يركض بي، لم يكن قدميّ أبداً، لكنه شعور داخلي يجعلني



أبذل جهداً مضاعفاً و أتعرق دون أن أخطو خطوة واحدة. التقطت حقيبتي الصغيرة، ونظرت بلمحة خاطفة، هل يتوجب علي تجفيف شعري؟ نظرت إلى الساعة، ربع ساعة مضت، فوضعت بعض "الجل" ولعبت به أصابعي بعبث وأنا متسمرة أمام المرآة حتى اقتنعت بهيئتي رغم تورم عيني. صعدت مع السائق وأنا أضع روجاً وردّياً بإصبعي وأمرره على شفتي، وأنا أضحك من داخلي وكأن بداخلي فماً مثقوباً يصرخ بضحكة لم أستطع التحكم بتصاعد صوتها حتى خرجت مني هذه الضحكة بشكل غير مقبول. كنت حينها أنافس وجه الصباح الذي دائماً ما يغلبني بجماله، لكني هذه المرة غلبته بتفاصيل وجهي الذي تلمع فرحته لدرجة لم أستطع أن أتستر على تفاصيل الفرح التي تسكنني. توجهت إلى الفندق لأجده ينتظرني عند البوابة. صعدت معه ويده تحتضن أصابعي بلهفة. لم أتمالك نفسي وأنا داخل المصعد لأطبع قبلة على شفتيه. كان جنونيّاً في صدي.

- أنا رجل يفترض أن أكون عاقلاً بما فيه الكفاية لأحميك من طيشك ولا أنساق معك في تيارات جنونك!

وقف بنا المصعد ودخلت معه تلك الغرفة التي أشعر بحريتي تحت سقفها. لأول مرة لم يزعجني سقف الأشياء فيها حتى عقل سعد وسقفه المحكم. في تلك اللحظة قال:

- أريدك يا مجنونة.

- وأنا أريدك عشيقاً وزوجاً كذلك.

- لا يستويان أبداً.

لجمت وأنا أضع نفسي في مواجهة مع عينيه اللتين تلمعان بالدموع.

- علي أن أغادر سريعاً، خذي تاكسي وعودي للبيت.

- وحضنك؟

- سيغمرك العمر كله إن جمعني بك النصيب.

توجهت للباب بلحظة انكسار ليدس يده حول خصري ويجذبني له:

- أحبك يا رغد بحيث إني أحاول حمايتك من نفسك، وليتك تفهمين أني كبرت عن هذه المرحلة.

- أتفهمك جيداً، فمنظرك أمام العالم بصحبة فتاة كهيئتي يفقدك وقارك.

- لا أعني ذلك، أنت تعرفين جيداً أن آخر ما أفكر فيه الآخرون، لكن الحكاية قدري في عين نفسي، أنت وحدك من يسلبني احترامي لنفسي يا رغد، لذلك لا أريد علاقة عابرة، أريد حياة مكتملة معك .

كنت لا أفكر أبعد من تلك اللحظة فأنا لم أجرب لذة علاقة



عابرة من قبل، وكنت أريد مراحلي كلها مع سعد الذي يقفز بي لمرحلته الأخيرة دون أن يكون لي عبور بتلك المحطات المجنونة. كانت الحياة تهبني من اللذات التي لم تكن تطرأ على بالي وكأني احتفظت بكل عواطفي حتى ألتقي هذا الرجل الذي انسكبت بين يديه دون أدنى خوف من عواقب الأمور. صعدت إلى غرفتي منهكة والساعة تشير إلى الثانية عشرة ظهراً لأجد أمي بانتظاري:

- كنت مع سعد ؟

لم يكن لي أن أنكر ولوني مخطوف بهذا الوضوح أمامها، وآثاره ما زالت موشومة بعنقي. خررت ساجدة تحت قدميها ألا تغضب، ثم علت شهقاتها وهي تلطم نفسها في مشهد لم يمر بحياتي كلها. كنت أشهق على حرقة دموعها، أريدها أن تكف عن البكاء من أجلها فقط، لكنها تبعدني عنها وهي تلطم وجهها بحركة سريعة. لم أبرر موقفي لحظتها ولم أدافع عن نفسي، ولم يفق عقلي إلا بعد عويل أمي. شعرت أن لدي شيئاً يستحق كل هذا الوجع الذي نزل على قلب أمي. بقيت مفترشة الأرض تدس رأسها بين ركبتيها وأنا أجلس على سريري جلسة المتأهب لأي حدث طارئ. كانت الساعة تشير إلى الثانية فجراً وما أفقت من شدة الضرب الذي أنهك جسدي الصغير إلا على سريري ويداها تحيطان وجهي في لحظة انشطار لم أشعر بها من قبل. كنت أرى بعينيها أنه انتهى أمري في هذه الحياة، وهي لم تتخيل يومها أن هذه الحياة لا يعنيني أمرها. كنت في دائرة مغلقة وعين أمي لم

تغادر حدود غرفتي منذ ثلاثة أيام مضت. ومع ذلك لم يشعر أحد بما حدث معي. كانت تجيد التستر على أفعالي السيئة منذ كنت طفلة صغيرة وربما هذه التنشئة هي ما دفعني لتجاوز الخطوط الحمراء كل مرة بقلب لا يبالي بالعواقب.

نظرت حولي، هناك شيء ما أفتقده لكني لم أنتبه من تورم عينيّ. كنت أشعر بضجيج المدينة التي تسكن رأسي ومع ذلك لم أنطق بحرف واحد سوى تلك النظرات التي نتبادلها أنا وأمي في لحظة صمت قاتلة. كان صوت ضميري يحضر وبقوة: ماذا فعلتِ بنفسك؟ وكنت أتجاهله باستمرار، لأن الحياة لذة نسرقها من فم الزمن. تحولت من يد أمي التي تمسك معصمي كل مرة نعبر فيها الشارع معاً لعينها التي تصور لي بشاعة خطيئتي الأولى وكأنها تثقل صدري بحملها، فلم أحتمل سوط نظراتها، كلما حدقت بي اندسست في لحافي حتى لا أرى كمية السوء الذي اقترفته بحقي وحقها.

كنت من قبل دائماً ما أردد أنا الفتاة السيئة وحتى بحضورها، لعلمي السابق أن جميع تصرفاتي وتعاملاتي ومواقفي مع الدنيا والناس من حولي لا تعجبها. لذا دائماً أردد شعاري في وجه العقوبة: أنا فتاة سيئة وعليك أن تتحملي سوئي، وبكل مرة تقول: أنت لم تصلي لدرجة السوء بل مختلفة دوماً وخارجة عن العادة والمألوف. لكني اليوم وهي تجلدني بنظراتها أشعر بسوئي حقيقة لدرجة تمنيت لو بلعت الأرض جسدي قبل أن أسقط من عين أمي.



وانفصل السلك وفقدت تواصلي مع العالم الافتراضي، وتورمت عيني ، وكنت أختنق ، أختنق ، بانتظار الفرج أو نظرة تعيد المياه لمجاريها ، غضب أمي بالأمس لم يكن شيئاً أمام توجعي من صوتها الذي نزل علي كسوط موجع تألمت من ضرباته ، تعريت تحت الماء طويلاً ، أغسل التعب ، الأرق ، ودموعي المالحة ، كنت لا أقوى على أن تغمض عيناي وصوتها يقرع كالطبل على قلبي ، تسربت من غرفتي إليها ، وقفت أمام الباب طويلاً ، تنفست بعمق ، يدي تمتد لقبضة الباب ، و الأخرى تمر بلمح البصر على مسامات جسدي التي تقشعر كل ثانية ، أحاول فتح الباب ولا يستجيب ، تهدأ نفسي مقفل ، مقفل ، ثم أعود مولية لغرفتي ، أتكور على سريري الأبيض وأحتضن قدمي وأدس رأسي تحت وسادتي الحمراء ، أسمع خطوات قادمة ، فأتصنم بمكاني ، تقترب الخطوات فأكتم أنفاسي ،

ماما نمتِ؟

ولا أجيب ، تترك شيئاً قرب الطاولة ، ويختفي قرع خطواتها شيئاً فشيئاً ، أفتح عينيَ ، عاد السلك مجدداً .! كنت أدرك أن صوتي خرس ، ولن يصل ولو حاولت أن أستجمع قواي وأصرخ عالياً ، لأنني خلقت وسط ستة أولاد يلبسني أكبرهم فستان طفلة غادرتني منذ سنين وأحاول بكل مرة خلعه

والتحرر منه وأفشل ، ولأن صورتي انطبعت بذاكرتهم ، بملامح طفلة بريئة ، حتى لو استعرت من فساتين أمي وأظهرت تفاصيل أنوثتي ، كنت ألمح بأعينهم تلك الطفلة التي كنت منذ لحظتها أتمنى لو تموت للأبد ، لم أتصور أبداً أن أجد هنا مساحة تسع لتفاصيلي الدقيقة ، ولأنوثتي المتدفقة ، ولتمردي على الطفلة التي تسكنني ، كنت هنا أنا كما أريد وكما أتطلع ، وليس كما يريدون مني بكل مرة ، لكني لم أكن أتصور أن أكون سيئة لتلك الدرجة التي تصورها لي رؤية من حولي لهذه الفتاة التي تسكنني !

تحولت أيامي لغيمة سوداء شحت بقطراتها. كنت أنتظر كل صباح إشارة فرح أو صوت عصفور أو شعاع الشمس. شعرت وكأن الطبيعة خاصمتني هي الأخرى وغاب عن ناظري كل ما هو مبهج لروحي.

حضرت أمي إلى غرفتي بعد شهرين من العزلة التي كادت تخنق أنفاسي. كنت خلال هذه المدة أكتب روايتي التي وصلت إلى صفحتها الخمسين وبعثتها لعدد من الروائيين الذين عرفتهم على الفيسبوك قبل أن يجمعني لقاء مع رواياتهم. كنت مقلة في القراءة لدرجة لا أذكر أني ختمت رواية حتى النهاية. كنت أقرأ نمو الأحداث وأنسجم لكن ما أن يتسرب الملل حتى أدع الكتاب وأهرب بي إلى مكان آخر. أذكر أني كل شهر أحاول قراءة رواية يختارها لي أحد الأصدقاء، وكنت ما أن أعقد الوقت معها حتى أجد أني تسربت من المكان ككل، فمن



بعيد ألمح تفاصيل العمل بشكل خاطف وسريع. أحب القراءات عن عمل ما وأحرص عليها جدّاً، لكن أن أقرأ رواية ككل هذه المعجزة بحد ذاتها، ولا أدري ما الذي تغير بي مؤخراً. كنت قبل الآن قد قرأت ذاكرة الجسد ثلاث مرات خلال نصف سنة، ولم أشعر بتلك الحالة التي تنتابني الآن كلما حاولت قراءة رواية.

لم يطرأ على بالي أن أكتب روايتي إلا بعد مرحلة العزلة التي مررت بها رغماً عني، كنت أندس عن عين أمي التي أحرص أن أتجنبها كلما وجدتني أمام وجهها، فلم تكن تتعمد سياسة التضييق علي، بل أنا بكامل رغبتي وليت وجهي شطر الجهة التي لا تكون فيها قبلتي. لم أشعر بذنب الخطيئة سوى في عين أمي التي كلما لمحت دمعتها هوت روحي وسقطت من طولي. كان وجودها أمامي يربكني حتى عندما جاءت بعد شهرين من العزلة لتقول:

- اتصلي بسعد ليحضر بشكل رسمي لخطبتك.

ابتلعت ريقي وسط ذهول أخرسني من الرد بصوت جهوري، فهززت رأسي بالإيجاب. كان مثل الحلم أن يصل بي نهاية المطاف في بيت يجمعني بسعد بعد هذه المحطات الموجعة التي مررت بها، وكان هاجسي الوحيد أن أعترف بالحقيقة لحظة زفافي حتى أعيدني لعين أمي قبل أن أغادر حدود البيت.

كان خبر خطوبتي لسعد حدثاً صادماً هز أركان القبيلة. كيف لأبي أن يزوجني لحجازي، مما دعا أحد عمومتي إلى مقاطعتنا في حال

تم الزواج. كانت أمي تستميت دفاعاً عن هذا الزواج بكل ما أوتيت من قوة وكنت وحدي أطير، أطير، أطير بحيث لم تدركني أرض ولا سماء. وأبصرت الحياة بعدما غبت شهرين كاملين لا أدرك فيهما ما حدث حولي وتناقلت النساء خبر زواجي وسط مجتمع حانق، ولم يطرق باب بيتنا أي مباركة سوى خالاتي فقط.

ترددت الأخبار السيئة والإشاعات وسط مجتمع العائلة وعدد من الجيران الذين يجمعنا بهم تواصل اجتماعي لكن جدتي التي وقفت بوجهي بلحظة صارمة أخرست فمي:

- عطيتوها شمالي وغصب رضينا ، ويوم تطلقت اطلعت لنا بواحد حجازي عيالنا وش ذاربهم ؟ اللي ما قبلت لا بولد عم ولا ولد خال.

كنت أكتم انفاسي وهي تصب جام غضبها على أمي التي تردد في كل مرة:

- هذا نصيبها يا عمة وكل يأخذ نصيبه من الدنيا.

كنت وأنا في عزلتي قد رسمت شكل الحلم لكن لم أتخيل للحظة أني أعيش تفاصيله كما الآن. اقتصر زواجي على العائلة والأصدقاء كما حلمت به دوماً، ولبست فستاني الأبيض وسط رقص الصغيرات، كنت أدير كل التفاصيل الصغيرة وأشكلها على حسب مزاجي ولوني ولم يكن لأمي يد في أي شيء يخص فرحة عمري. كنت لا أرى أي ضرورة لحفل الخطوبة فقررت الزواج في ليلة واحدة لا تكون قبلها



ولا بعدها تجهيزات لأي احتفال منعزل كما يحدث بصباحية العروس ويوم الحناء ويوم زيارتها لأهلها، تلك العادات التي توارثناها كتقاليد ثابتة لأي حفل زفاف في مجتمعنا. خرقت كل قوانينهم ورميت بعاداتهم خلف ظهري وضربت بكل أعرافهم الاجتماعية عرض الحائط، وزففت بليلة حالمة لم يكن يشاركني جمالها سوى ضوء القمر لأتمايل راقصة ويداي تلتفان حول عنق زوجي برقصة وددت أن لا تنتهي أبداً. لم ألمح من الوجوه سوى وجهه ولم يضئ بقلبي سوى حبه ولم تلمع عيناي إلا بعدما عانقتا عينيه. كانت الحياة تهبني حضنها الأكبر وقلبي لم يعد يحتمل كل هذا الفرح، فوددت لحظتها لو أخبئ كل الضحكات بقلبه حتى لا يسرقها مني أحد. كانت شرارة الدموع تقدح بعين أمي وهي ترى الفرحة بوجهي تضيء، فأفلتّ خصري من قبضة سعد وأنا أتوجه بعيني جهة قبلتي الأولى التي ما زالت وجهتي بكل الجهات. تنفست بعمق ودمعة أحذرها ألا تسقط هذه الليلة، لكني لم أستطع أن أتمالك نفسي وأنا أرى هدير الدموع يغرق عين أمي، همست لصفحة وجهها:

- لم يلمسني سعد قبل الليلة.

نظرت بذهول وكأن وقع الصدمة أكبر من كل الألم الذي تجرعته لشهرين ماضيين، لأهز رأسي:

- نعم، نعم ، الفتاة السيئة بكر يا أمي، لم يلمسها أحد.

لتصفعني على خدي بمرارة الوجع التي عصرت قلبها ولم تجعلها

تفكر بأبعد من هذا الألم، تهاويت وأنا ألتفت حولي وسط الكثير من النساء اللاتي يحدقن في، ولم تسعفني عيناي لألمح سعد من بينهم، لكن ظهر وجه أحمد مبتسماً وهو يلوح بيده من بعيد حتى اختفت ملامحه، فهويت من المنصة وسط صرخات النساء، وكأني وقعت في حفرة عميقة أحاول النجاة منها. فررت من نومي لأجدني في سريري لم يتغير بي شيء سوى هذا الحلم الذي مر سريعاً بكل تفاصيله التي أخذت مني نصف يوم غارقة في لذة الحلم الذي تمنيت لحظتها لو كان حدث حقيقة.

تناولت الملف وبعثته في رسالة بريد وكتبت إلى غرامي :

هذه التفاصيل الصغيرة كانت حكايتي معك في ليلة لم تخطر على بالي فوهبني الله لذتها وأنا أتوسد صدر الأرض عارية بعد ليلة من البكاء المرير وأردت نشرها في رواية تجمعني أحداثها بك داخل صفحات كتاب يبقى للزمن بعد ما عزلتنا أعراف المجتمع .

اتصل وقتها ولم يدع لي مجالاً للحديث حيث قال : ماذا ستقدم تفاصيلك البائسة للقارئ؟

لم يكن لدي جواب وقتها كنت أتلهف لبدايات الحديث بيننا كل مرة يهاتفني بها

لكن هذه المرة تحول هذا الرجل من حبيبي لرجل أجهل من يكون لحظتها

رغد أن تنشري يعني أن يكون لديك شيء عليه القيمة ، وليس



فقط شهوة أسرار تندلع في مذكرات مراهقة غبية لا تحسن كيف تتعامل مع مجتمعها الصغير فكيف تواجه العالم بهذه اليوميات !

- هي محاولة للتفريغ وارتكاب إثم الكتابة .

لكنه صفعني : كيف تكتبين عن حياة لا تملكين زمام أمرها ، ومن خولك لتتحدثي عني بشكل مكشوف للجميع ، قصتي معك شيء شخصي وخاص جدّاً بحياتنا هذا إن جمعتنا حياة أما تصرفك هذا فلا يدل إلا على قلة احترام لخصوصيتي معك . ثم لو نظرت لها كرواية أين خطوط العمل الروائي ؟

هذه قصة طويلة ولا تدخل في إطار العمل الروائي ولا مسماه. أن تكتبي رواية لا بد أن يكون هناك فكرة مجنونة وليست كما فكرتك المستهلكة وأن يكون للرواية أحداث وشخصيات مركبة تسير بالعمل وتدخل في دهاليزه ، الجيد أنك أخذت تمريناً في الكتابة السردية وركزي على عمل آخر يكون بعيداً كل البعد عن حياتك الشخصية وملامحها ، اخلقي فكرة لكن لا تقحمي حياتك وأحداثها بعمل يعرض على الملأ .

لا بد أن تفصلي بين حالة الكتابة وتفاصيل حياتك وإن كنت لا تجيدين ذلك فتريثي قليلاً . لأن اسمك مرهون بعملك الأول وبقاؤه في ذهن القارئ يكون مرهوناً بأدواتك وأنت تفتقرين لأساسيات العمل الروائي ، ثم لماذا رواية ؟

لم يكن لدي أي جواب وقتها لكني حقدت على كل كلمة تفوه

بها على عملي المزهوة به ، أغلقت الهاتف في محاولة مني لبتر آخر حروفه التي جلدتني كسوط أحرق قلبي .

تصفحت الفيسبوك كنت أبحث عن كتاب الرواية أردت رأياً واحداً يكون عكازاً لظهر حروفي الذي كسره سعد دون أن يفكر بوقع ذلك على قلبي . كنت في تحدٍّ حقيقي لم يكن هاجسي العمل كتصنيف بل أن أثبت أني أمتلك موهبة حقيقية لا تحتاج سوى للتوجيه ورسم طريقها لا كسرها وتهميش أدواتها .

وصلني رأي أول (منذ الإهداء وأنا أستشعر بقدرتك على رسم ملامح نص روائي متمكن هذا مبدئيّاً) طرت به من الفرحة التي لم تكن لتجعلني أغمض عيني قبل أن أتصل بسعد ، لكن تراجعت وبعثت بذلك الرأي له برسالة بريدية ليكون الرد صادماً ..

هذا الكاتب المزهوة برأيه لا ألتفت لما يكتب أساساً ولا يعني رأيه شيئاً يذكر فلو نشرت تلك اليوميات بأي طريقة كانت ، فانسي وجودي بحياتك لأني لا رغبة لي بالارتباط بفتاة لا تدرك معنى لخصوصية الآخرين معها .

تعجبت من ردة فعله أمام تحقيق حلمي في أن يكون لي رواية مطبوعة في هذا العالم الذي أتطلع لمساحة تسعني فيه

كتبت : سعد أحبك لدرجة لا يمكنني معها الارتباط بأي رجل آخر ، لكن صدقني لو وقف الأمر بيننا على هذه الرواية لمضيت إليها دون أن ألتفت لوجه الحب الذي جمعني بك .



فكتب : اللعنة يا رغد ، كبرت الطفلة بداخلك بحيث لم أنتبه لذلك .

لم يكن ليقتحم حياتي لولا أن فتحت نوافذي له ، كنت أنا من أثير غضبه بكل علاقاتي وتواصلي مع الكتاب والروائيين في هذا الوسط الأدبي ولم يكن لي أن أخفي عليه شيئاً ، وتلك الصورة التي عشقني بها تبدلت كثيراً بحيث خلال شهرين تحولت اهتماماتي وصداقاتي وشكل علاقاتي لشيء جدي وحقيقي بعيداً عن الاسم المستعار الذي كنت أختبئ خلفه عن عيون من يعرفني ويميز تفاصيلي .

وما أن وضعت اسمي بصفحة الفيسبوك حتى تحول سعد لرجل شرقي يمارس وصايته علي ويحاول قدر الإمكان أن يحد من علاقاتي التي أخذت تتسع بي بحيث لم يجد في تفاصيلي أي أثر لملامحه حتى انفجر بوجهي ذات يوم : من يكون أحمد في تلك الرواية اللعينة؟ فقلت: شخصية وهمية ! فقال : لقد وصلني حديث عن حقيقة الشخصيات بداخل روايتك .

أي حب هذا الذي يجمعكما ، ما عمره ، ما لونه ، ما حدته ، ما تفاصيله ؟

لم يكن يجمعنا حديث كان يكتب لي وأشعر بغيرته التي تتفجر ما بين السطور كان أحمد مرحلة تسبق المرحلة التي جمعتني به ولا يمكن له محاسبتي على مراحلي التي غادرت رصيفها منذ التقيت به تحدثت مع أمي حول نشر عملي في مطبوعة تحمل اسمي الصريح لم

يكن لها أن تقف بوجهي لكن الصدمة كانت تساؤلها: ما هي قضيتك في هذه الرواية ؟

قلت : الفكرة تمرد على تقاليد المجتمع وأعرافه .

- هي سيرة شخصية ، ولا أظن أنها تهم أحداً ليسحبها من أحد الرفوف ويقرأها

فلمَ المجازفة إن لم يكن لديك قضية !

قلت : هذي قضيتي .

قالت: إذاً انشريها وتحملي كل ما سيواجهك في سبيلها .

لم تقرأ أمي روايتي لكني كنت أقرؤها ذات يوم بصوت عالٍ لصديقة بعيدة جمعني بها سكايب فوقفت لخمس دقائق تسمع لي ثم انصرفت دون أن تبدي أي اهتمام .

كانت أيامي مزحومة بي وأنا أمام تحدٍّ وحيد هو أن تكون حاضرة بالمعرض الذي جمعني بسعد العام الماضي ، لذا انشغلت في ترتيبات أموري بشيء من الخصوصية

وغاب سعد شيئاً فشيئاً سوى حضوره في بعض الأيام المختلفة في صباحاتها

كان حديثنا يتجنب أي سيرة قريبة من محيط الرواية وكأنه يفصلني بذلك عن أي حديث يشوه وجه لقائنا تلك الأيام .

كنت أشتغل طيلة ليلتي بتفاصيل العمل وأنا أعزلني عن أي



أمر آخر يشغلني عن إكماله حتى انتهيت من كل الأمور المتعلقة به وحملته لدار النشر التي وقعت معها عقدي بعدما استخرت مرتين ليرتاح قلبي .

بعثت نسخة العقد لسعد الذي عاد بصوت يحمل ألوان الشتائم ليصبها على قلبي الصغير وكأنه تحول من حبيب لولي أمري الذي كنت أتلو صلواتي ألا أكون قد اقترفت ذنب عقوقه

وهل تتصورين أن تحقق تلك السخافات اسماً مميزاً في الساحة الأدبية ؟

اسمك مرتبط بعملك الأول ولا بد أن تعيدي صياغة العمل من جديد أو تحقني الرواية بالكثير من الأحداث والمشاهد التي تسند العمل كرواية لا تزجي باسمك قبل أن يكون لديك فكرة مميزة ، فعملك يوميات لا يستحق أن يسمى عملاً أدبيّاً !

كنت على الجهة الأخرى أبكي لم يكن له أن يحدثني بهذه الطريقة حتى لو كان ما كتبت لا يستحق الالتفات له .

ـ تريثي قليلاً يا رغد حتى لو دعا الأمر لكتابته من جديد فقط انتظري قليلاً .

لم يكن لي صوت فقط أنفاسي التي اختنقت بي ولم أعد قادرة على مواصلة الحديث

رغد ، آلو ،

أقفلت الهاتف وودعت كل ذكرى مرت بي معه ، هذه الرواية أصبحت حلمي الذي تلاشت أمامه كل محاولاتي التي كنت أستميت فيها لشرعية تربطني بسعد في مجتمع يتقلد العرف كسياسة .

انصب كل تفكيري على عملي الذي تفرغت له بشكل كلي ، كنت أحتاج جهداً مضاعفاً أن أقرأه بعين وأنقده بعين أخرى تحدثت مع الناشر بكل التفاصيل فقال: أنت مشكلتك تمنحين دماغك لكل رأي حتى تلك التي لا قيمة لها ، أنا قبلت بالعمل وليس شرطاً أن يتفق الجميع على روايتك ، ستجدين من القراء من يجلد ذاتك قبل أن ينتقد العمل .

نمت ليلتها ولم يشغل بالي سوى أمر سعد الذي أقفلت هاتفي بوجهه لأول مرة منذ ولج الحب بقلبي ، كنت أشعر بضعفي بغيابه وكأن هذا الأمر خيط يمتد بي إليه وانقطع .

في الصباح أفقت لأجد مسج من سعد في الخامسة مساء سأكون بنفس الفندق حاولي أن تكوني هناك . ارتعب قلبي وهذه المرة حضوره كان خطراً على روحي لم يكن لي تجاهله وأنا التي تولعت بحبه . بكيت لحظتها لأني أدرك أنه لن تتقدم بي خطوة تجاهه لأنه وضع سوراً بيننا بحيث لا يمكن لقلبي الالتقاء به . تورمت مشاعري بذكرياته لا شيء يكسر الأنثى إلا حب من طرف واحد ، ذلك يحيلها خارج حدود الزمن دون تذكرة عودة .!المرأة تبقى طاغية الأنوثة حتى تقع بالحب فيجردها من الإحساس وتصبح مسخاً لأهواء رجل لا يخاف الله .!



يدخل الحب قلب المرأة ، يقض مضجعها ، يسلب قوتها ، يمتد على مساحات جسدها ، يغير معالمها ، وأدق التفاصيل التي تسكنها ، ثم يتركها كنصف خريطة لكنز ضائع .!

كان لا بد وقتها من التخلص من سعد لأن وجوده بهذا التوقيت نقطة تحول ولا أريد أن يدفعني لمرحلة الضياع بعد أن هدأت ثورة عاطفتي واستكانت .

بعثت مسج صغيراً (لا أستطيع المجيء لأني برفقة أهلي في المزرعة) وأقفلت هاتفي . لم يكن سهلاً على قلبي هذا الموقف وأنا أدرك أن من عشقته حد البكاء لا يفصل بيني وبينه سوى مسافة طريق لا تتعدى ربع ساعة ! وهذا الأمر كان ما يمليه علي عقلي بذات اللحظة لأني شعرت بغربة روحه عني منذ آخر مكالمة وأن حضوره بهذا التوقيت يحمل إشارة قدر ستقلب مصيري رأساً على عقب، كنت أومن دائماً بإشارات القدر بيننا وحضوره كان لينزع مني حلماً كان يكبر معي منذ تفتحت أفكاري وتعاطيت الكتابة حاولت أن أخرس لهاث عاطفتي وحضن يكبر ويتسع بي وقلبي يرفرف بالحب كلما عصرني الشوق له وكأن الوقت يرفض أن يمر دون أن يكون لنا لقاء بهذا اليوم ، بعثت رسائل إلكترونية لعدد من الكتاب بروايتي كنت أنتظر ما يدلون به إن كان يستحق عملي النشر أم أطويه كمرحلة من مراحل حياتي التي تجاوزتها حضر الرد الأول ليكون صادماً رغم الردود التشجيعية منذ بداية الرواية لأجد مقدمة طويلة عن العمل

وخروجه من الرواية لمسمى القصة الطويلة ورغم هذا قال إن ذلك لا يعيبه أبداً لكن نصيحته كانت أن أنشره إلكترونيّاً فقط وأتلقى ردود الأفعال ومدى تقبلهم له !

توقفت عند هذا الرد طويلاً ، لم يكن لي أن أجازف بنشر عملي وأنا في مواجهة مع رأي كاتب بحجمه ، تحدثت مع الناشر وطلبت وقتاً محدداً قبل أن يباشروا الطباعة فقال: الأهم رضاك عن العمل .

- وجدت نهاية أخرى ولا بد أن أختمها بشكل يرضيني على الأقل .

- أستطيع الانتظار عشرة أيام.

كتبت النهاية بشكل آخر وأنا التي أقفلت العمل منذ شهر كامل لم أكتب به حرفاً واحداً سوى التعديلات البسيطة من بعد التدقيق اللغوي .

كان يرن جرس قلبي كلما مررت الماوس على الأحداث وتمر بين السطور لحظات حميمة جمعتني بسعد فألعن عاطفتي وأبكي إلى أن تضخمت مشاعري بي والمآذن تصدع بالله أكبر نظرت للساعة السادسة فتحت هاتفي ووجدت مسجين من سعد سأنتظر حتى الغد لأني أومن بأنك تخلقين أي طريقة للقاء لو أردت ذلك .

ثم مسج آخر (أتفهم غضبك من محادثتنا الأخيرة لكن هذا سبب غير مقبول أن تحرميني من رؤيتك وأنا حضرت من أجلك)



اتصلت به سريعاً لأجده بصحبة صديق فقال: مشغول الآن .

بعث مسج بعد دقيقة لقد قبلت بدعوة صديق عزيز على العشاء لم أتصور اتصالك أنا متورط الآن لكن سأحاول أن أنفذ من ذلك في حين أنك ستأتين للقائي الليلة ؟

فبعثت : وقتي لا يسمح بأكثر من ساعة نلتقي بكوفي شوب لأني لن أصعد معك إلى ذلك الفندق اللعين .

رد: بعد نص ساعة لاقيني هناك .

اعتذر سعد للرجل لأنه انشغل بي وسيعود بعد ساعة ليلبي دعوة العشاء لم أتهيأ لهذا اللقاء كما كنت أفعل من قبل ، كل ما في الأمر رميت نظارتي ولبست عدساتي الطبية عوضاً عنها وارتديت عباءتي على عجل ، وضعت عطراً خفيفاً ومشيت بخطوات متثاقلة وأنا أشعر أن الحب انزلق مني بحيث لا شيء يحرضني لأكون سعير فتنة تلهب كل عواطفه بلقائي .

ركبت مع السائق دون أن أنظر لهيئتي ودون أن أحمل في حقيبة يدي روجاً أو حتى غلوس لامعاً . ضائعة هذه الكلمة الوحيدة التي تعبر عن حالتي تلك وما أن ولجت المكان حتى خفق قلبي برنين هاتفي احتجت أن أتجاوز طاولتين لألتقي به وما أن أدخلت رأسي ليجلسني بحجرة بلحظة خاطفة سرقت مني لذة النظر في عينه حتى قبلني بنهم وأنا ألتقط أنفاسي ما كان لك أن تلمسني بهذا الشكل لقد أخفتني اشتقت لك يا ملعونة.

جلست على كرسي بمقابل كرسيه فسحبني حتى اقتربت من لهيب أنفاسه آسف رغد ما كان لي أن أهاتفك بهذه القسوة .

- أخيراً تذكرت ؟ مر أسبوع كامل على ذلك ولم يجمعنا اتصال .

فقال : حضرت من أجلك الآن .

فقلت : كذبت ، أنت هنا من أجل عمل ما .

- لكني لم أتجاهل وجودك ولن أرحل وقتها دون أن ألتقي بك.

نظرت مطولاً في عينيه شعرت أنهما عالمي ومكاني وفيهما أرى تفاصيل أولادي لم يكن لي أن أغضب كل هذا الغضب من وجهة نظره فهو يظل رأيه الخاص حتى لو كان صادماً بعض الشيء تسللت يدي لراحة كفه وأنا أقبض عليه بقوة سأنشر الرواية وستكون معي بالمعرض كما كنت تدعم صديقك العام الماضي

- وجودي هناك سيربكك وسيثير التساؤلات وأنا لا أريد أن تنشغلي بأي شيء آخر سوى روايتك .

وكفي الشهوانية ؟

لو صافحتِ بها أحداً فأنا من أكسرها لك هذه المرة .

لن تفعل لأن كفي لحظتها لن تفارق كفك

رغد ، رغد أفيقي قليلاً من أحلامك وافهميني جيداً ، سحبت كفي واعتدلت لحديثه

قال: انظري لعيني وهاتي يديك كلتيهما



انحنى ظهري جهة وجهه وأقبلت كلي إليه احتضن كفي ونظر بعيني وهو يتحدث

وجودي هناك منتظر والكل سيراقب تحركاتك وأنا لا أريد أن يكون وجودي بلا معنى أنا حتى الآن لا يجمعني بك عقد شرعي فكيف يعلل الناس حضوري هناك

ويدي بيدك ؟

ثم حضور أهلك كيف موقفنا تجاه ما يحدث لا أريد أن تحلمي بشيء لا يتحقق لقائي بك العام الماضي يختلف عن هذه السنة ومصافحتك كانت أسرع من ثانية

كنت لحظتها لم أحلم بك لكن الآن أبني بيوتاً من الأحلام بعد ما واجهتِ الناس والمجتمع لأجلي صدقيني ظهوري لن يكون عادلاً إلا وأنت زوجتي حينها لن يكون لأي أحد سلطة عليك لا حديث الناس ولا إشاعاتهم الهادمة .

قلت: ستكون بالقرب إذاً

فقال: أنا لن أغادر المعرض حتى تغادريه أنت ، وسأطلب منك توقيعاً مع عامة الناس وسيتطرق أحدهم لي بالتقاط الصور وسأخبرك حينها أن أعينهم تراقب خطواتي دون شيء ، كيف لو وقفت بركنك أطلب توقيعاً .

فقلت: لا تهتم لأمر الناس اهتم لأجلي فقط .

لسنا معزولين عن المجتمع ولو حدث سأضعك بعيني وأرى الدنيا من خلالك

لأن الشباب بعينيك يشي لي بحكايات لم تكتب بعد

احضني واحرص ألا أفيق من حضنك أبداً

اقتربي إلي فوشوش بأذني : لم يكن لدي عمل حضرت ورب السماء لأجل هذا الحضن

ارتفعت بعيني جهة وجهه وقبلته بسعير عاطفتي

سعد أحبك لدرجة في لحظة ضعف كنت سأتخلى عنك .

وأنا لن أتخلى حتى لو أهلكني حبك فقط كوني لي يا رغد .

أنا لك حتى أموت . وفي الآخرة سأختارك وسأحبك أنت

بالآخرة لا أحتاجك لدي من الحوريات من ينسيني اسمك

ضحكنا طويلاً حتى غادرنا حدود المكان كان يرافقني إلى أن ركبت تكسي أجرة لأول مرة لا أشعر بحاجتي للعودة كان ذلك اللقاء سقف كفايتي منه لأني أدرك أن أمر علاقتنا بات من المستحيلات السبعة في نظر مجتمعي وعائلتي الصغيرة .

عدت مزهوة بالحب وبالأحلام التي لا تنتهي في أن يجمعني به نصيب من حيث لا أحتسب .

وصلتني عدة رسائل بريدية ، من كتاب الرواية كنت في لحظتها تساوت بنظري كل الأمور ولم أجد لدي أي ردة فعل تحركني تجاه



أي شيء يقف بطريقي

توقفت عند قول أحدهم : الكتابة قفز للهاوية ! كان شيء بداخلي يدفعني لمقاومة الفشل فقلت لا شعورياً: سأقفز إذاً .

هذه التفاصيل جزء من حياتي ولا بد أن أسجل هذه المرحلة حتى لو اختلفت حولها الرؤى .

كتبت عشر صفحات في جلسة واحدة وبعثتها لمدقق نحوي من جديد وضغطت على مشاعري أن أقرأ تلك الأحداث مرة أخرى لأني كنت أواجه صعوبة كبيرة في استعادة تلك الأحداث لدرجة أبكي بمرارة تشق صدري كلما استعدت تفاصيلي مع صالح الذي كان مرحلة وتجاوزها الجميع إلا أنا بقيت آثارها داخل روحي ، كلما تذكرت تفاصيلها لعنت سنوات عمري التي لم تسعفني على اتخاذ القرار الصائب .

لم يكن بغرفتي شريك منذ طفولتي المبكرة ، لذا حاجتي لأحد يشغل هذا الوقت معي ويشاركني تفاصيله حاجة ملحة لا أتورع في أن أطلبها من أي أحد حتى لو كان رجلاً لا أعرفه .

فوهب لي الله هبة تلك التي حضرت مؤخراً لتكون أختي ، فبحت لها بوجع حكايتي لتشاركني أدق التفاصيل وتلتحم بذاكرتي بحيث تستصعب رفقتها على النسيان .

أوكلت لها مهمة مراجعة الرواية لدرجة تهبني كل يوم نصف وقتها بلا تردد .

كتبت عن خبر روايتي في ذلك المنتدى الذي يضم تفاصيل حكايتي الأولى مع صالح ، لأجد في وقت متأخر بدر يحضر متودداً لاستعادة صداقة ذهبت ملامحها مع الغياب . لم يكن لي أن أقفل بابي بوجهه بعد ما أقفل بابه حين كتبت جزءاً من تفاصيلي في موضوع الفتاة السيئة كان حضوره الأول : وردة .

فقلت : شو قالوا يا عمر ؟ ورد مخنوق : حلو وما ذقتك .

زمان عن تلك الوردة يا بدر فالأصدقاء الحقيقيون لا يبدل ملامحهم الغياب وأنت وحدك من زلق وجهه من رحم ذاكرتي .

كانت علاقتي حقيقية لم يكن لي أن أتعامل افتراضيّاً مع أي أحد في حين وجدت الكثير يعاملني ككائن افتراضي ووحدي من ترهقه مثل هذه العلاقات .

مرت الأيام في تطور عجيب وكونت قاعدة جماهيرية من خلال الفيسبوك وموقع تويتر وفي ذلك المنتدى لدرجة الكل بات يتطلع لتفاصيل روايتي وكم من الوجوه التي مرت بحياتي تضع يدها على قلبها في أن تمر ملامحهم دون قصد بسير أحداثها .

لدرجة لعنني أحمد حين أخبرته أن كل تفاصيله معي ستكون بكتاب يعرض على الملأ

وصل على بريدي عدد من النسخ التي تعالت بها صرخاتي لم يكن لي أن أكتمها



وأنا أرى أول إصدار تحتضنه كفي بلحظة أشبه بالحلم وسط ضحكات الكثير من حولي . فتحت الصفحة وإذا بالإهداء بارزاً في صفحة وحده وكأنه يلوح بيده لصفحة وجهي

هذه أنا يا أمي ، صدقيني هذه التفاصيل حياتي وكان هذا الفرح عيدي وجنتي التي لا أطلب من الله غيرها .

فقالت : أنت تزهين بالفرح يا رغد .

بعد أسبوعين افتتح معرض الكتاب بالرياض وحدد فترة الصباح في العاشرة للتوقيع على روايتي وسط ضربات قلبي التي ترتفع بي ، لم يكن لي أن أتعامل مع هذا الأمر بشكل عادي فحلمي لمع نجمه، لكن كل الخوف في أن تفشل تجربتي الأولى وتسقط «فتاة سيئة» من ذاكرة الروايات الجميلة .

أعلنت خبر توقيع كتابي في كل مواقعي وتلقيت عدداً من التهاني والوعود بالحضور ، لم يكن في بالي وقتها سوى سعد وأحمد وبدر فقط هؤلاء من كان لهم نصيب كبير في تفاصيل حياتي وكان وعدهم بالحضور شيئاً لا بد أن أنتزعه منهم حتى يطمئن قلبي .

صعدت في السيارة باتجاه المعرض والكثير من الوجوه تمر بي حتى ولجت البوابة الرئيسة ، كان المكان أشبه بالحلم وكأنه شيء مختلف لم يسبق أن عانقته بذات العين

توجهت لركن دار الفكر العربي لأجد الناشر وقتها بانتظاري أخذت مكاني في منصة التوقيع وقلبي يرتعب خمس دقائق واكتظ

المكان بالزوار نسيت كيف أمسك القلم وكيف أوقع

كنت أفكر بعمل بروفة قبل أن أوقع بشكل عشوائي على أي نسخة

حضر الكثير من الصديقات من تهامست معهن بالكثير من الأحاديث الخاصة

كنت أتطلع لعدد من الأصدقاء من وعدوني بالقدوم وكنت دقيقة في تصفح وجه أي شخص يطلب توقيعاً حتى وقف بنصف عيني رجل ثلاثيني أدعج العينين

لم يكن لي أن أقف وقتها كان الموقف صادماً بشكل لم يطرأ على بالي حتى بالأحلام الصغيرة ، فكيف لرجل مثله لم يخطر على قلبي بالوقت الذي كنت فيه أستجمع قائمة الأسماء التي تقاطعت معي بحياتي الواقعية والافتراضية معاً

تقدم خطوة باتجاهي فعلت ضربات قلبي وكأني فقدت قدرتي على التنفس

ثم خطوة وشيء ما يتصاعد بروحي ، شهقت من كل قلبي حين وقف على رأسي لا يفصلني عن صدره سوى خطوة واحدة كانت بيننا كعمر!

مد يده وهو ينظر بعيني بنظرة عشق لا يبور تمنيت وقتها لو مت وكنت نسياً منسيّاً



فاندفعت لجهته بكل عاطفتي وصافحته بمرارة الفقد التي تجرعتها بغيابه

- مبارك يا رغد ، حرصت أن أحضر هذا اليوم لأجلك

لم يكن لي أن أسحب كفي وأنا التي تمنيت لو كان أول رجل يعانقها فتمسكت به

هذه الكف لن تفارق كفي إلا حين تغيب روحي

- هي رهن إشارتك ، متى أردت ذلك

دخل حينها في عيني سعد وألف علامة استفهام تعلو وجهه فقلت حتى لا يحدث أي موقف يضعني بحرج مع أحدهما:

هذا الكاتب الكبير : سعد مطران .

سلم عليه في مصافحة سريعة أهلاً تشرفت بك وصدمة اهتز لها قلب سعد

كنت أحتاج توقيعك على نسختي فقط

فتوجهت للطاولة ويد أسحبها من كف رجل آخر في حضوره كنت قبل هذا العام في نفس التوقيت دسست كفي الشهوانية بكفه دون أي اعتبار لأي أحد

والآن أضعها بيد رجل آخر دون أي اهتمام لما يصيب قلبه

جلست أوقع نسخته فقال : سحقاً لكل الوعود التي تفوهت بها .

ابتلعت عبرتي ووقعت بالصفحة الأولى ويداي ترتجفان وهو يحيطني بعينه : رجل مثلك لا ينسى ، لذا خلدت تفاصيلنا بهذا الكتاب حتى أتحدى به ذاكرة النسيان .

فقال : حقاً فتاة سيئة .

فقلت بنفسي وهو يولي ظهره بانكسار لم ألمه على وجه رجل منذ وعيت : أتنصل منك حين تلمحني عيناك برفقة رجل آخر ، كما لو كان حبك جنيناً أودعتني إياه وأجهضته.. ! فحبك مجموعة من الأجنة أحدها يزلق من بين فخذي وأحدها يتعلق كوشمة بجدار القلب وأخرى تخرج من صلبك مكتملة النمو .!فكيف أقفل باباً بيدك وحدك مفتاحه .!

لا ذنب لدي من المحظورات في قائمتي لأن حبه الذنب الأكبر الذي تصغر أمامه كل الذنوب الكبيرة .

وحده الزمن من يقطع الحبل السري الذي يصلني به فهذا الباب هو من يغلقه ، لأنني أدرك جيداً أنني أضعف من أن أغلق بوجه عاطفتي نافذة فكيف بباب .!

انتهت .



الفتاة السيئة ليست كما يتصور الآخرون حول لفظ (سيئة) أو أمر (قبيح)، لا هذا السوء شيء جميل وساحر لا ينتبه لتفاصيله البقية، لكنها وحده من تراه بتفاصيلها .

شهد عبد العزيز



فتاة سيئة

كيف تطالبني أن أستغل فترة غيابك بارتكاب
الكتابة كلما اشتقتُ لك ، و أنا لا أعرف لغةً
لحرفي بغيابك ، كيف أعزلك عن ذاكرتي ،
أتخلص من أشيائك التي تسكنني ، أودعك
بطرقات الغياب ، و أحضرك بحرفٍ أخرس ،
كيف أفعل ذلك ؟ و أنت تتوغل بعمق بحيث
لا فكاك ، وتسكن وجه الدفاتر ، بكلٍ محاولة
لرسم إحساسي تتضح تفاصيلك الدقيقة
فأتوقف . كيف أفعل ورائحتك تتسرب إليّ مع
الأماكن التي عبرتها بروحك ؟ هبني طريقة لا
تمرني فيها ، وسأرتكبها للكتابة إليك ، دون
أدنى وجع !

شهد الغلاوين

